الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 21075109582

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص أدب حديث ومعاصر

بعنوان:

الافتراض المسبق في رواية "آخر الفرسان" لـ : فريد الأنصاري – دراسة تداولية –

إعداد الطالبة:

– سمية جابري.

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. محمد أمين بوضياف	أستاذ محاضر – أ –	جامعة المسيلة	رئيسا
د. علي حويش	أستاذ محاضر – أ –	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. عليوي عمر	أستاذ محاضر – أ –	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2021-2022م

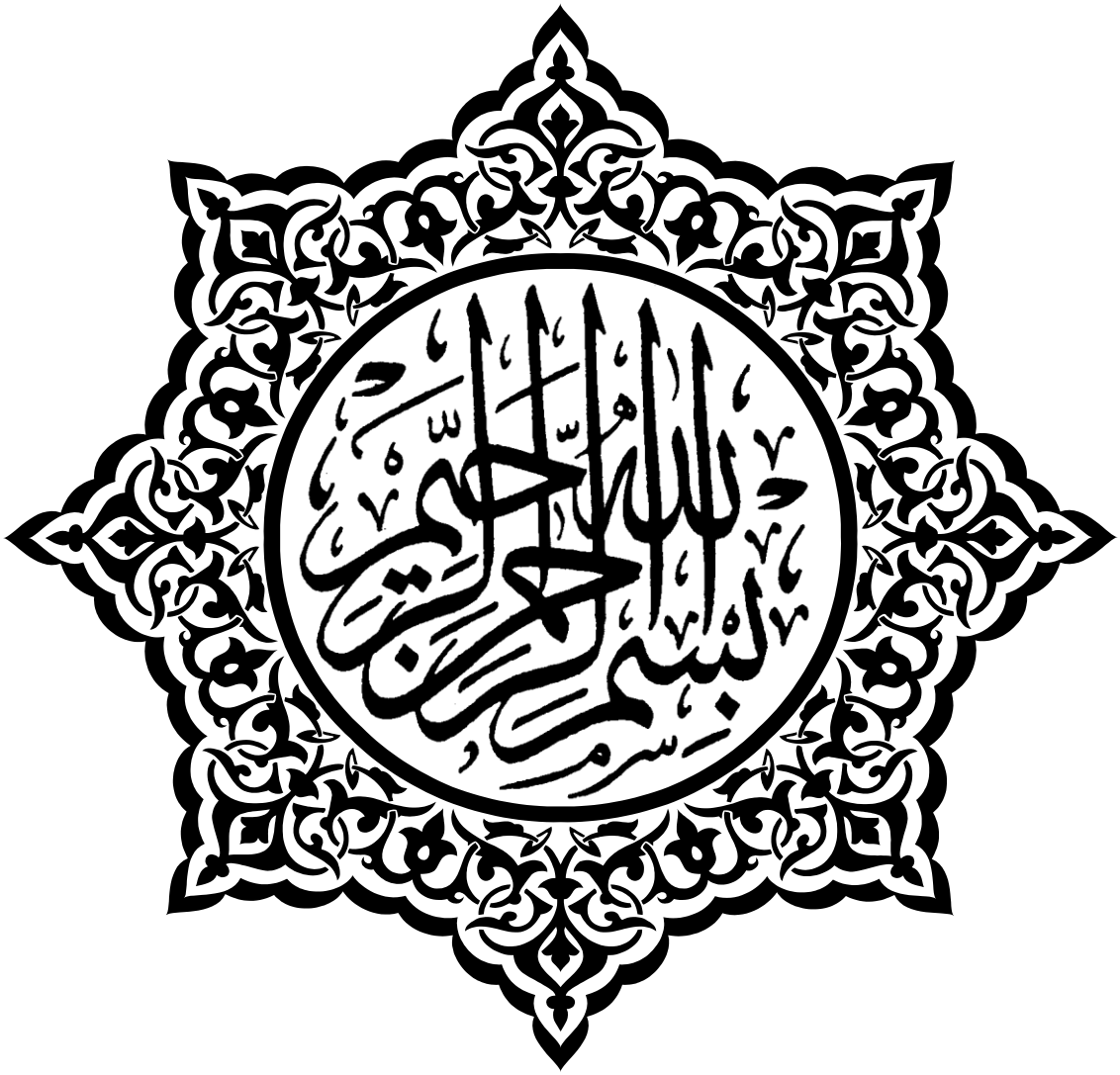
بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى :

-إلى أبي حفظه الله ورعاه .

-إلى الوالدة أمي ، التي كانت سندا متينا في مشواري الدراسي ،

أطال الله في عمرها .

إلى زوجي العزيز "عبد القادر"

-إلى اخوتي وأخواتي وصديقاتي ، إلى كل من يعرفني .

-إلى من ساعدني في اتمام هذا البحث .

سمية جابري

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، ولإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر و العرفان ، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات ، فما عليّ سوى اختصارها في هذه العبارات :

فكل الشكر

إلى أستاذي المشرف **(د . علي حويش)** منبع المعرفة و السراج

الذي أنار دربي فكل الشكر والاحترام له

وإلى كل الأساتذة الذين سقوني من بحر المعرفة حتى وصلت إلى أعلى الدرجات

كما أتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

مقدمة

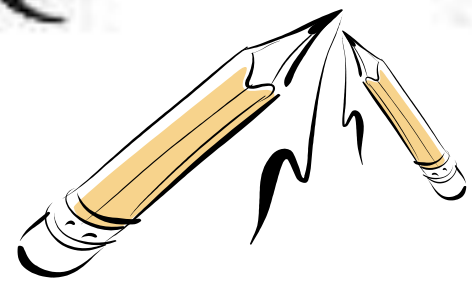

مقدمة:

من المتعارف عليه أن اللغة في مرآة المجتمع، تعكس صنيع الأخذ والعطاء ، بغية معرفة منطق الإيحاء الفعلي للقاهرة التفاهم، وفي الوقت ذاته في الأداة التي يتسلح بها الفرد للدفاع عن نفسه وإيصال فكرته بدافع الإحساس لإدراك التميز والتفكير بالإقدام على قولبة معاني التعبير بشكل متناسق كضربات أصداء السيوف حين تتمحور الألفاظ بمدلول المعاني المعتمدة بعامل الإدراك العقلي، وبما يعيه الإنسان من خلال محفزات الإدراك الحسي بغية الفهم والتفاهم الاستدراج ما ينبغي فعله وإيصاله السبل التي يعتها كل فرد وبأية لغة كانت.

ولم يعد التياران البنيوي والتوليد الوحيدين اللذين يهيمنان على ساحة الدراسات اللسانية، فقد أفرزت المعرفة نظريات و مفاهيم لغوية مالية في الأسس المعرفية، انبثقت عنها تيارات لسانية أخرى منها التيار التداولي الذي يشكل قطب رحي العلوم اللسانية، هذا التيار ظهر في الدراسات المعاصرة وكان يهدف إلى إعادة الاعتبار للعامل غير اللساني في ساحة الدراسات النسائية، وذلك يجعل السياقات وظروف المقام من بين شروط نجاح العملية التواصلية بين المرسل والملتقي، فالتيار اللساني التداولي يدرس اللغة في الاستعمال، أي دراستها من خلال أدائها لوظيفتها التواصلية، وطرق كيفية استعمال العلامة اللغوية بنجاح وكذا السياقات و الطبقات المقامية التي ينجز ضمنيا الخطاب في البحث عن العوامل التي تجعل هذا الخطاب حالة تواصلية واضحة وفعالة، في العلم الذي يتناول اللغة بوصفها ظاهرة خطابية واجتماعية.

وهذه الدراسة لا تهدف إلى التفصيل في هذا التيار بقدر ما تهدف إلى محاولة تطبيق مقاربة من مقارباتها وهو الافتراض المسبق.

وكان سبب اختياري لموضوع الافتراض المسبق باعتباره قضية من القضايا التي اهتمت بها التداولية من خلال ما يقوله المتكلم ويفترض أن المستمع يعلمه.

وتتمثل إشكالية البحث التي سأحاول الإجابة عنها فيما يلي:

– ما مفهوم الافتراض المسبق؟ وما هي أنواعه؟ وما هي أهم الافتراضات المسبقة في رواية آخر الفرسان ؟ وهل تعد الرواية موضوعا مناسبا بل هذه الدراسة أم لا؟

ولما كان المنهج هو الطريق والدليل في رحلة البحث والتي من خلاله يحدد الدارس عناصر بحثه، جاء اعتمادي على المنهج التداولي لأن الافتراض المسبق مقاربة من مقاربته.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وفصلين الفصل الأول بعنوان مفاهيم حول **مفاهيم وقضايا التداولية،** وتناولت فيه مفاهيم التداولية، والفصل الثاني: فسميته **الافتراض المسبق في رواية آخر الفرسان لفريد الأنصاري،** فقد ضم ثلاث عناصر أساسية هي الافتراض المسبق الواقعي ، والافتراض المسبق المعجمي، و الافتراض المسبق المناقض للواقع، ثم أنهيت البحث بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها.

أما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في الدراسة كانت:

* مسعود صحراوي، التداولية عن العلماء العرب.
* محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر.
* خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية.
* جورج يول، في التداولية.
* إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية.

ولأن أي مجهود في البحث يواجه بعض الصعوبات قد اعترضتني عدة، منها: ندرة الدراسات التطبيقية حول موضوع الافتراض المسبق في الرواية مقارنة بالجانب النظري .

وعموما فإن هذا البحث يطمح أن يكون مرجعا جديدا وخطوة في بداية الطريق لإفراز أهم الافتراضات المسبقة للكاتب فريد الأنصاري، وبداية مشروع لتناول التجربة المغاربية المعاصرة.

الفصل الأول

مفاهيم وقضايا التداولية

1- مفهوم التداولية

2- الجذور الفلسفية للدرس التداولي

3- النشأة والتطور

4- التداولية عند الغرب

5- التداولية عند العرب

6- أبرز القضايا والمفاهيم التداولية

تمهيد:

لقد ترك التراث العربي زخما من المؤلفات الغنية بالمعارف والعلوم على اختلافها وبالمقابل توصلت الدراسات الغربية إلى العديد من المناهج والنظريات الحديثة، التي تسهم في دراسة النصوص وفهمها فهما صحيحا، وإثبات ظواهرها بالأدلة والحجج المنطقية وتبعا لهذا التجاذب بين أصالة القديم وعصرنة الحديث، وقف الباحث العربي المعاصر حائرا بين العودة لثرائه العربي الأصيل والنيل منه وين مواكبة زمانه والالتفات إلى المناهج والنظريات الغربية الحديثة للتعرف على أهم ما جابت به وأهم آلياتها في دراسة النصوص، فوجد أن الحل الأمثل هو في الأخذ بتلك المناهج والنظريات الحديثة واستثمارها في قراءة الموروث العربي من خلال استنطاق نصوصه؛ باستنباط أحكامها واستخلاص جمالياتها، فظهرت العديد من الدراسات التي تعمل على قراءة التراث قراءة معاصرة، وقد تعرفا انطلاقا مما سبق على إحدى تلك النظريات الحديثة، وهي النظرية التداولية، ماهية التداولية؟، وعلى ماذا تقوم النظرية التداولية؟ وما هي أهم القضايا والآليات التي تعتمدها في دراسة النصوص؟ وكيف نضجت في البيئة التي نشأت فيها ؟ ثم ما علاقتها بالدراسات العربية القديمة ؟

1- مفهوم التداولية:

تعد اللسانيات التداولية اتجاها لغويا حديثا، ظهر وازدهر على ساحة الدرس اللساني الحديث وهي تعنى بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، أي أنها تراعي، في دراستها للغة . كافة أقطاب العملية التواصلية، فتهتم بالمتكلم ومقاصده باعتباره محركا العملية التواصل وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بمختلف الظروف الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية.

فالتداولية إذن على تواصلي جديد، يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ويفسرها، ويساهم في حل مشاكل التواصل ومعوقاته، وما ساعدها في ذلك أنها مجال رحب يستمد معارفه من مشارب مختلفة فتجده يأخذ من: علم الاجتماع، علم النفس المعرفي، اللسانيات، علم الاتصال، الأنثروبولوجيا والفلسفة التحليلية"[1]، وبذلك فالتداولية تستند إلى كثير من مكاسب المعرفة الإنسانية المختلفة، مما أكسبها طابع التوسع والثراء في معالجاتها المختلفة للغة وجعلها تتخذ لنفسها مكانة مهمة بين البحوث بعدما كانت تعد سلة مهملات اللسانيات".[2] أ.

أ. المفهوم المعجمي.

ان المتفحص لمختلف المعاجم العربية، يجد أن الجذر اللغوي لمصطلح التداولية هو الفعل الثلاثي (د. و، ل)، فقد ورد في معجم مقاييس اللغة أن: " الدال والواو واللام أصلان أحدهما يدل على تحول شيء عن مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء.

فأما الأول فقال أهل اللغة: أندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم. إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدولة و الدولة لغتان. ويقال بل الشولة في المال والتولة في الحرب، وإنما سما بالله من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا.

[1] باديس الهويمل، التداولية والبلاغة الشعرية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع ،2011 ص 15.

[2] المرجع نفسه، ص 155 – 156.

أما الأصل الأخر فالدويل من النبت: ما يبس لعامه، قال أبو زيد: دال الثوب يتول. إذا بلى .. ومن هذا الباب اندال بطنه، أي استرخى".[1]

وكلا الأصلين يدلان على التحول من حال إلى حال.

وجاء في أساس البلاغة: " دالت له الدولة، ونالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكرة لهم عليه .. ولله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم. والدهر دو و عقب وتوبة وتداولوا الشيء يتهم. والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما.[2]

" والإدالة: الغلبة، يقال: اللهم أدلني على فلان و انصرني عليه. ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي، أي أخذته هذه مرة وهذه ومرة".[3]

وورد في " العين " أن: " الدولة والدولة لغتان، ومنه الإدالة، قال الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها، أي نكون في بطنها كما كنا على ظهرها".[4]

مما تقدم نلاحظ أن معنى اللفظ (دول) لا يخرج عن مفهوم التناقل والتحول والتغير من حال لأخرى، وقد اكتسب هذا المفهوم (التحول والتناقل) الصيغة الصرفية (تفاعل) التي تستلزم وجود طرفين على أقل تقدير، كأن ينتقل المال مثلا من شخص لآخر أو من مجموعة إلى أخرى، أو أن يكون النصر في الحرب مرة لهذا القائد ومرة لذاك، أو أن ينقل الماشي رجليه أثناء تحركه فتارة يقدم واحدة وتارة يقدم الأخرى، أو أن يتحول القوم من مكان إلى مكان.

وإذا انطبق مفهوم التحول على الشيء بانتقاله من حال إلى حال أخرى، فكذلك ينطبق على اللغة باعتبارها إحدى عناصر العملية التواصلية، التي يتداولها طرفي الحوار

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط ،1979، ج 2، ص 314 – 315.

[2] ابي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1998،ج1، ص303.

[3] د. اسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، 1990،ج1، ص1700.

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج2، ص60.

يقول طه عبد الرحمن": "من المعروف أن الفعل (تداول) في قولنا (تداول الناس كذا بينهم) يفيد معنى (تناقله الناس وأداروه فيما بينهم) ... ويقال (دار على الألسن) بمعنى جرى عليها"[1].

ومن الآيات القرآنية التي تناولت الجذر اللغوي (د ول) نجد قوله تبارك وتعالى:
" مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ".[2]
وفصل في تفسيرها الزمخشري بقوله: كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يعطي الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به."[3]

ومن شواهد استعماله في القرآن أيضا قوله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ"[4]

ويقول الزمخشري بشأنها: (نداولها) نصرفها بين الناس نديل وتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من أبيات الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر"[5].

ب. المفهوم الاصطلاحي:

ان تقديم تعريف للتداولية، يلم بجميع جوانبها ويشملها، أمر من الصعوبة بمكان ولعل ذلك راجع إلى حداثتها؛ إذ إنها نظرية لم يكتمل بناؤها بعد، كما أن مفهومها تتقاذفه مصادر معرفية عديدة لا يكاد يستقر في أحد منها[6]، بالإضافة إلى تداخلها مع مختلف العلوم الأخرى، مما جعلها مجالا ثريا وواسعا، و حيرا في الآن نفسه.[7]

---

[1] طه عبد الرحمن: تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط 2، د ت، ص 244.

[2] الحشر ، الآية 07.

[3] الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، مكتبة العبيكان الرياض، ط1، 1998،ج1، ص78.

[4] سورة آل عمران: الآية 140.

[5] الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، المرجع السابق، ص362.

[6] خليفة بو جادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، ط1، 2009، ص63.

[7] محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعة، د.ط ، 2002 ص 10-11.

ونظرا لتعدد مشارب التداولية ومصادرها المعرفية، فقد تباينت تعريفاتها من باحث الأخر فنجد من أهم تعريفاتها ما يلي:

– دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية"[1].

– دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام lnguage in use ، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية"[2].

– علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، وينمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره"[3].

وتفسير ظاهرة التواصل اللغوي يعني الخروج إلى معنى المتكلم، وبالتالي تجاوز المعنى اللغوي المعجمي إلى المعنى المقصود.

– دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها وتفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة".[4]

– دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظرية الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق truth conditions فإن التداولية تعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط"[5].

كما عدت فرعا من فروع علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع لمقاصد المتكلم فإذا قال لك أحدهم: أنا عطشان. مثلا، فليس بالضرورة أن يكون غرضه إخبارا بقدر ما هو طلب بأن تحضر له كوبا من الماء، وكل هذه التعريفات تصب في قالب واحد ألا وهو دراسة "اللغة حال الاستعمال"[6].

---

[1] فليب بلا نشيه، التداولية من أوستين الى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2055، ص19.

[2] بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص18.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط1، 2055، ص16.

[4] بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، المرجع السابق، ص18.

[5] محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص 12.

[6] خليفة بو جادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، المرجع السابق، ص151.

فالدراسة التداولية إذن لا تكتفي بدراسة البنية اللغوية فقط، ولا تقف عند حدود المستوى الشكلي لها، بل تجاوز ذلك إلى مستويات أعمق لتشمل كل أبعاد العملية التواصلية، فدرس علاقة اللغة بمستعمليها وبالمؤولين لها من جهة، وتهتم بالبحث في الشروط اللازمة لنجاح الخطاب وملاءمته للموقف التواصلي من جهة أخرى.

وبذلك تكون قد أتاحت الفرصة لاكتشاف أبعاد جديدة في دراسة الظاهرة اللغوية كانت قد أهملتها اللسانيات البنيوية، مما جعلها محط الاهتمام في الدراسات اللغوية المعاصرة.[1]

ونتيجة لاختلاف الترجمات نجد أن مصطلح " pragmatics " تقابله عدة مصطلحات في اللغة العربية، نذكر منها:

- مصطلح " **البراغماتية** " .
- مصطلح " **المقامية** ".
- مصطلح "**علم التداول** ".
- مصطلح "**علم المقاصد**".
- مصطلح " **السياقية**".
- مصطلح " **التداولية**".

غير أن هذا الأخير هو الأكثر استعمالا بين الباحثين.

ويلخص الدكتور مسعود صحراوي مهام التداولية في النقاط التالية:

1- دراسة استعمال اللغة باعتبارها كلاما صادرا من متكلم محدد، وموجه إلى مخاطب محطا بهدف تحقيق غرض تواصلي معين.

2- شرح عملية استخراج الدلالة من مختلف الملفوظات.

3- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر على التواصل المباشر .

4- شرح أسباب قل اللسانيات البنيوية في معالجة الملفوظات.

[1] محمدو طلحة، تداولية الخطاب السردي، تقديم مسعود صحراوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص24.

وعليه فإن بعض الدارسين يعولون على التداولية في الإجابة على بعض الأسئلة التي عجزت اللسانيات البنيوية عن الإجابة عليها والتي من بينها:

- كيف تصف الاستدلالات في عملية التواصل.
- ما هو نموذج التواصل الأمثل
- ما هي العلاقة بين اللغة الكلام والإدراك.

وخلاصة القول أن التداولية مصطلح جديد يحمل مفهوما قديما جديدا في الوقت نفسه، فهو جديد لأنه ارتبط بدراسات حديثة كاللسانيات والمنطق والسيميائيات، ومنها علم الاجتماع و علم النفس، وهو قديم لأن بعض المفاهيم التي تضمنها كانت متناثرة في ثنايا التراث اللغوي العربي القديم والتراث الإنساني العام، ولكن تحت تسميات أخرى منها، البلاغة والنقد ...[1]

وهي تختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) ويفسره المستمع أو القارئ) ، فهي إذا تبحث فيما يعنيه الناس بعباراتهم، لا فيما تعنيه كلمات تلك العبارات منفصلة، أي أنها تبحث في قصدية المتكلم لا في دلالة كلماته.

2- الجذور الفلسفية للدرس التداولي:

ان المتتبع لجذور الدرس التداولي، يجد بأنه ينبثق من منبع فلسفي، كان بمثابة الأرضية التي نبتت فرقها التداولية، أطلق عليها اسم :" **الفلسفة التحليلية**".

وقد ظهر هذا الاتجاه بزعامة الفيلسوف الألماني "غوتلوب فرجيه" (1848-1925) في كتابه الموسوم " أسس علم الحساب "، الذي أجري فيه تحليلات لغوية كثيرة من بينها: تمييزه بين اسم العلم والاسم المحمول، وكذا تميزه بين المعنى والمرجع .. وبذلك يكون فرجيه قد ساهم بشكل كبير في إحداث قطيعة بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة.[2]

وقد سار على درب فرجيه، الفيلسوف النمساوي " لود فيغفغنشتاين "

[1] محمدو طلحة، تداولية الخطاب السردي، المرجع السابق، ص01.

[2] جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010،ص19.

(1988 -1951) فانتقد مبادئ الفلسفة الوضعية المنطقة، وأسس اتجاها فلسفيا جديدا أطلق عليها اسم: فلسفة اللغة العادية، والتي تقوم على الحديث عن طبيعة المعنى في كلام الرجل العادي، وأهم ما تميز به "فيتغنشتاين" في توجهه هذا هو بحثه في المعنى، وإقراره بأن المعنى لا يكون ثابتا ولا محددا، بالإضافة إلى دعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم[1]، وهكذا حددت الفلسفة التحليلية لنفسها مهمة، تمثلت في إعادة صياغة الإشكالات والموضوعات الفلسفية على أساس علمي، قالت من اللغة موضوعا للدراسة باعتبارها الأداء المعرفية التي نستطيع بواسطتها فهم الكون فهما صحيحا، ضاربة بذلك ما جابت به الفلسفة الكلاسيكية، آخذة عليها إهمالها للغات الطبية، وعدم منحها القدر الذي تستحقه من الدراسة والبحث، فسعت الفلسفة التحليلية إلى رتم هذه المرة، من خلال الاهتمام بهذا المبدأ الذي يعد من صميم البحث التداولي.

وبعد ذلك تأثر بهذا المنهج كل من الفلاسفة: شارل سندرس بيرس، أوستين، سيرل واهتموا بشكل كبير بتطوير هذا المنهج التداولي وإرساء دعائمه، حيث مهد كل من أوستين و "سيرل" لذلك بما يسمي:" نظرية أفعال الكلام فأتي أوستين في هذا المجال ، بقسم آخر من العبارات أطلق عليها اسم " الأفعال الإنجازية " (Act perfomotifs) وهي: " التي تخص على فعل أو تنهى عنه أو التي ترد أوصافا لأحداث. وميزتها هو أن تلفظها لما ينجز الحدث الذي تصفه"[2].

في مقابل ما كان يعرف بالأفعال الخبرية act constatifs متجاوزا بذلك مسلمات الفلسفة الوضعية، التي تقوم على وصف الحدث وتعيينه مقارنة بما يحيل إليه؛ أي أن صدق الجملة من كذبها يتعلق بمدى مطابقتها للواقع فإذا قلنا مثلا: الجو بارد، فإن هذه الجملة صادقة في حال واحدة وهي برودة الجو في الواقع وإلا فهي كاذبة.[3]

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، المرجع السابق، ص20.

[2] خليفة بو جادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، المرجع السابق، ص90-91.

[3] المرجع نفسه، ص52.

وبذلك أثبت أوستين" بأن دلالة الجملة في اللغة العادية ليست بالضرورة إخبارا فتحتمل الصدق أو الكذب، بل تقاس في الدرس التداولي بمدى قدرة المتكلم على إيصال مقاصده للسامع، فاللغة في مفهومه: تجاوز وظيفة الاتصال إلى وظيفة التأثير، وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية[1] .

" كما يدين الدرس التداولي كثيرا إلى بيرس، فهو من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة انطلاقا من مفاهيمها الفلسفية"[2] ، بعدها أساس النشاط السيميائي، وهو لا يخرج عن رأي " أوستين" و "فيتغنشتاين" في ربط المعنى بظروف الاستعمال، ومن أهم ما قدمه الدرس التداولي نجد: تمييزه بين التعبير بعده نمطا، وبين ما يقابله أثناء الاستعمال، وكذا تمييزه بين كل من: العلامة، الإثارة والأيقونة.[3]

هذه باختصار أهم القضايا التي مات النشأة الدرس التداولي انطلاقا من علمنة الفلسفة، وبالتالي إحداث قطيعة بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة وبروز ما يعرف الفلسفة التحليلية .

3- النشأة والتطور:

عرفنا من خلال ما سبق أن التداولية " ترسل" جديد يبحث في السياق التخاطبي للغة وذلك بدراستها حال الاستعمال أو الاستخدام، انيق من التفكير الفلسفي؛ حيث قام فرجيه بوضع لبناته الأولى انطلاقا مما يعرف بالفلسفة التحليلية، بيد أن الدرس التداولي سر عان ما أخذ في التطور والعمل على صقل أدواته الخاصة في التحليل، وشق طريقه ليصبح علما قائما بذاته.

وتعد سنة 1938 بمثابة الميلاد الأول لمصطلح التداولية، على يد الفيلسوف موريس الذي " جعل التداولية جزءا من السيمائية، تعالج العلاقة بين العلامات ومستخدميها وذلك عند تقسيمه علم العلامات (Semiotics) إلى ثلاثة فروع هي[4]:

[1] خليفة بو جادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، المرجع السابق، ص53.

[2] المرجع نفسه، ص55.

[3] المرجع نفسه، ص56.

[4] محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، المرجع السابق، ص09.

1.علم التراكيب Syntactics أو Syntax: و هو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعضها.

2. علم الدلالة Semantics: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها.

3. التداولية: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها.

ولم تصبح التداولية مجالا معترفا به في الدرس اللساني إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن طورها فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أوكسفورد(Oxford) وهم يجون أوستين J. Austine .و "جون سيرل" J.SearL ، و"بول غرايس" Paul Grise وهم من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية (Natural language)، في مقابل ما كان يعرف بمدرسة اللغة الشكلية أو الصورية (Formal language) التي يمثلها كارناب، و كانوا يهدفون إلى إيجاد طريقة التوصيل معنى اللغة الإنسانية من خلال إبلاغ المرسل الرسالة إلى مستقبل يفسرها فكان عملهم من صميم البحث التداولي.[1]

وكانت بداية تطور التداولية بنظرية " أفعال الكلام" التي ظهرت مع (جون أوستين) J. Austin له وتطورت على يد جون سيرل searl . وبعض فلاسفة اللغة من بعده لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تكون عقد اجتماعها ما يعرف باللسانيات التداولية ومن هذه المفاهيم، أفعال الكلام، الاستلزام التخاطبي، الإشاريات....

و الحق أن جون أوستين عندما ألقي محاضرات وليام جيمس عام 1955م ، لم يكن يهدف إلى تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، بل كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة ، بيد أن تلك المحاضرات صارت فيما بعد بوتقة للسانيات التداولية وانطلق أوستين من أن الكثير من الجمل التي لا شيء استفهامية ولا تعجبية ولا أمرية، لا تصف واقعا معينا، وبالتالي لا يمكن إخضاعها المعيار الصدق أو الكذب، بل هي تساهم في تغيير

[1] محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، المرجع السابق، ص09.

الواقع، فالجملة: آمرك بالصمت . مثلا . لا تصف واقعا بل تسعى إلى تغيير حالة الضجيج إلى الصمت.

وانطلاقا من هذه الملاحظة توصل أوستين إلى نوعين من الجمل، جمل وصفية تصف الكون، ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وجمل إنشائية لا تصف الواقع بلا تؤدي إلى تغييره، وهي تتميز عن الجمل الوصفية بعدة خصائص منها: أنها تستند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا من قبيل: وعد، أقسم، أمر ...، ويقود معناه على وجه الدقة انجاز عمل ما، وتسمى هذه الأفعال أفعالا إنشائية[1].

ويمكن الحكم على هذه الأفعال الإنشائية، لا بمعيار الصدق والكذب وإنما بمدى توفيقها أو إخفاقها، فعندما تأمر الأم مثلا ابنها بتنظيف أسنانه، فهي لم تقل كلاما صادقا أو كاذبا، وإنما تكون قد وفقت إذا امتثل الابن لإمرها ، وأخفقت في حال حدث العكس.

وقد شكلت أفكار وملاحظات أوستين A ustine، بداية موفقة لنظرية أفعال الكلام أول نظرية تداولية لسانية، ثم سرعان ما أخذت في التطور شيئا فشيئا مع فلاسفة اللغة بعد أوستين وبخاصة تلميذه جون سيرل j. Searl ، لتظهر بعدها نظريات أخرى منها : القصدية ، الملامة ، الاستلزام التخاطبي، الحجاج ...

كما ساهمت في تطور التداولية أيضا مجموعة من المقاربات اللغوية، من بينها تحليل الحوار Conversation Analysis تحليل النص Text Analysis و تحليل الكلام / الخطاب Discourse Analysis، بوصفها امتدادا طبيعيا لأطروحات النحو الوظيفي Functional Grammar التي طورها هاليداي (1985) ... ومنها أن المعنى ليس فيما يقول النحاة، ولا ما تقول المعاجم، على ما لكليهما من أهمية، ولا في العمليات المعرفية المجردة من سياقاتها، لكن فيما يقصد من يستخدم اللغة وما يريد، وفيما يفهم من يتلقاها ، استماعا أو قراءة . وفيما ينتج من دلالات من خلال ظروف السياق"[2]

---

[1] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط1، 2003،ص29-30-31.

[2] بهاء الدين محمد مزيد، المرجع السابق، ص 20.

4- التداولية عند الغرب :

بما أن الدرس التداولي نشأ في بيئة غربية وتطور فيها، فقد أخذ مختلف الباحثين في المجال التداولي يتغلغلون في هذه النظرية ويتوسعون فيها، وينظرون لها كل من منظوره الخاص، وفي ما يلي إشارة إلى بعض ما أضافه مختلف الباحثين الغربيين إلى النظرية التداولية منذ نشأتها، الأمر الذي جعلها تكتسب آلياتها الخاصة في دراسة اللغة وبالتالي إيجاد مكانها بين النظريات اللسانية الحديثة.

أ. أوستين :

لقد تطرقنا في ما سبق إلى أن من أهم عن أرسى دعائم النظرية التداولية هو "أوستين" من خلال فلسفته في اللغة الطبيعية، بالإضافة إلى ما قدمه من اجتهادات حول نظرية "أفعال الكلام"، فكانت بدايته من تقسيم الكلام إلى قسمين:[1]

- **قسم تقريري:** مجاله الخير الذي يحمل في الصدق والكذب.

- **قسم إنشائي:** ينجز به المتكلم عملا، ولا يصر على مجرد الكلام به. ومن أشراط نجاحه توافر عناصر الإرادة، والقصد، والقدرة، وحسن النية، ونحوهن من مقتضيات المقام التي تتناسب مع الأعمال الكلامية المنجزة.

وبعدها ميز "أوستين" بين نوعين من الأفعال على النحو التالي[2]:

- **أفعال إخبارية:** و هي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة.

- **أفعال أدائية:** تنجز بها في ظروف ملائمة أفعال أو تؤدي، ولا توصف بصدق ولا كذب بل تكون موفقة كما أطلق عليها أو غير موفقة، ويدخل فيها: التسمية، والوصية والاعتذار والرهان، والنصح، والنوع. فمن شروط الأفعال الأدائية إذا لتكون موفقة ملاءمتها للظروف التي تؤدي فيها ، فإذا لم يتحقق شرط العلامة كللت بالفشل.

---

[1] صلاح امين ملاوي: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، كلية العلوم والآداب الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة . الجزائر، العدد الرابع، جانفي 2009، ص 03.

[2] محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص ص43-44.

وحين تبين ل. "أوستين" أن تقسيمه غير دقيق، راح يبحث عن إجابة لسؤال جوهري هو: كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا؟ وفي سعيه للإجابة عنه أعاد تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام وهي:

- الفعل اللفظي.
- الفعل الإنجازي.
- الفعل التأثيري.

ويخلص " أوستين" إلى وجود ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل وهي:[1]

- به فعل دال.
- إنه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).
- إنه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا).

ب . سيرل :

و بما أن "أوستين" قد وضع اللبنات الأولى لنظرية "أفعال الكلام" فقد كانت تحتاج إلى من يتبناها ويطورها لتصبح أكثر نضجا، فأخذ "سيرل" على عاتقه هذه المهمة، فأعاد تناول هذه القضية وطور فيها يحين عن أبعادها الرئيسية هما: المقاصد والمواضعات

بحيث يمكننا اعتبار الأعمال اللغوية والجمل التي أنجزت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن مقاصد وتحقيقات، وهذا المظهر كان حاضرا عند "أوستين" لكنه كان في أوج تطوره عقد "سيرل"، وفي محاولة "سيرل" لوضع تطرية متكاملة ومحكمة فقد قام بالعديد من الأعمال التي يمكن أن ننجزها في ما يلي:

- نص" سيرل " على أن الفعل الإنجازي شعر الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلا يسمي دليل القوة الإنجازية، يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في اللغة الإنجليزية في نظام الجملة، والنبر، والتنغيم...

[1] مسعود محمد صحراوي، التداولية عند العرب، المرجع السابق، ص44.

– الفعل الكلامي عنده أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي.

– طور" سيرل" شروط الملامة عقد "أوستين" وطبقها على الكثير من الأفعال الإنجازية وهي:

1. **شرط المحتوى القضوي:** أي ارتباط الكلام بقضية معينة.
2. **الشرط التمهيدي** : فلا يكون إنجاز الفعل المطلوب واضحا عند المتكلم أو المخاطب.
3. **شرط الإخلاص:** فيكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل.
4. **الشرط الأساسي:** فيحاول المتكلم التأثير في السامع لإنجاز الفعل.

– قدم "سيرل" تصنيفا بديلا لما قدمه "أوستين" من تصنيف للأفعال الكلامية وجعلها خمسة أصناف كالتالي:

- **الإخباريات:** و الغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم لواقعة معينة.
- **التوجيهات:** وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معينه.
- **الالزاميات:** وغرضها الإنجازي فور التزام المتكلم يفعل شيء في المستقبل.
- **التعبيريات:** وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي بإخلاص.
- **الإعلانيات:** وسمتها المميزة أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي.

استطاع "سيرل" أن يميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة فبين أن الأفعال الإنجازية المباشرة في التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم ومثال ذلك قول الرجل لرفيق له على المائدة: هل تناولني الملح؟ فهذا الفعل غير مباشر لدلالته

على الاستفهام، بينما مراد المتكلم طلب الملح فيكون الفعل الإنجازي المباشر هو: ناولني الملح.[1]

ج . غرايس

وقد أضاف بصمته الخاصة من خلال نظرية الاستلزام الحواري، حيث لاحظ أن جمل اللغات الطبيعية، في بعض المقامات، تدل على معنى غير محتواها القضوي"[2]، فأراد أن يقيم معبرا بين ما تحمله العبارات من معنى صريح و معنى متضمن، وفي بحثه هذا ارتأى تقسيم الاستلزام إلى نوعين :

1- استلزام عرفي: قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات و تغيرت التراكيب.[3]

2- استلزام حواري: "وهو متغير دائما بتغير السياقات التي يرد فيها".

ولكي يكون الحوار ناجحا، حفلا "غرايس" ما يعرف ب : "مبدأ التعاون" بين المتكلم والمخاطب وهو مبدأ حواري عام يقوم على أربعة مبادئ فرعية وهي:[4]

- **مبدأ الكم:** اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.
- **مبدأ الكيف:** لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عند دليل عليه.
- **مبدأ المناسبة:** اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.
- **مبدأ الطريقة:** كن واضحة ومحددا، فتنجب الغموض، وتجنب اللبس، وأوجز ، ورتب كلامك.

فهذه المبادئ يتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولا إلى حوار مثمر.

---

[1] محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص 47-51.

[2] مسعود محمد صحراوي، التداولية عند العرب، المرجع السابق، ص33.

[3] محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص33.

[4] المرجع نفسه، ص34.

5- التداولية عند العرب :

صحيح أن المفاهيم التداولية هي مفاهيم من الجدة بمكان، حيث ظهرت حديثا عند الغربيين كما سبق ورأينا، غير أن جوهرها ، ألا وهو تغير المعني بتغير السياق الذي ترد فيه العبارة ، كان موجودا في الدراسات العربية منذ القديم، ففي البلاغة تعبر عن ذلك بعبارة "لكل مقام مقال"، وفي النحو يغير مفهومنا للجملة الواحدة باختلاف سياقها رغم عدم تغير حركاتها الإعرابية كما في جملة: أراه رجلا التي تدل على معنيين اثنين: الأول باعتبار الفعل (أراه) فعلا ماضيا أي بمعنى جعله يرى الرجل والثاني باعتبار الفعل (أراه) فعلا مضارعا أي بمعنى أنا أراه رجلا، كما نجد هذا الارتباط بالسياق عند الفلاسفة (المناطقة) والأصوليين وغيرهم، وبما أن الجانب التطبيقي لهذا البحث حول استنباط المفاهيم التداولية عند الأصوليين، فسنعرج فقط على مفهوم علم أصول الفقه وموضوعه.

أ. تعريف علم أصول الفقه :

يعرفه الزحيلي في كتابه "الوجيز في أصول الفقه" بقوله : " أصول الفقه" : معناه أدلة الفقه، وهي القواعد التي يتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، والقواعد هي الضوابط الكلية العامة التي تشتمل على أحكام جزئية، مثل قاعدة الأمر للوجوب والنهي التحريم قوله تعالى:" وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ"[1] ، يدل على فرضية الصلاة والزكاة ، وقوله سبحانه : "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ"[2] وقوله : " وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا "[3]، يدل على تحريم القتل العمد العنوان وتحريم الزنا"[4].

ب . موضوعه :

أما عن موضوع هذا العلم فيحدد من خلال أمران اثنان هما : الأدلة الشرعية من حيث كونها أداة الاستنباط، والأحكام الشرعية من حيث كونها نتيجة الاستنباط وأنها تثبت

[1] البقرة : بعض الآية 43.

[2] الأنعام : بعض الآية 151.

[3] الإسراء : بعض الآية32.

[4] وهبة الزحيلي: الوجيز في اصول الفقه، دار الفكر ، دمشق، ط2، 1990، ص13.

بالأدلة، وهذه نظرية جمهور الأصوليين وفي الراجحة، لأنهم يقولون: موضوع أصول الفقه: هو الأحكام الشرعية من حيث ثبوتها بالأدلة"[1].

6- أبرز القضايا والمفاهيم التداولية :

توصلنا من خلال ما سبق إلى تقديم تعريف التداولية على أنها "علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال"[2]، وهي كغيرها من العلوم تقوم على مجموعة من الأسس والمفاهيم التي تساعدها على دراسة تلك الظواهر اللغوية، وتمكنها من معالجة اللغة في سياقات استعمالها المختلفة فبالرغم من تعدد توجهات اللسانيات التداولية واتساع مجالها . الأمر الذي حال دون إعطاء تحديد معين لموضوعاتها.

- إلا أنه وانطلاقا من مفهومها، استطاع الباحثون في هذا المجال أن يتناولوا بعض من موضوعاتها، فنجد من أهم المفاهيم و القضايا التي يقوم عليها الدرس التداولي ما يلي :

أ. الأفعال الكلامية (Speech act):

يتضح من خلال التسمية أن أفعال الكلام في الأفعال الناتجة عن التلفظ بكلام معين، فهي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب، وذلك من خلال جملة يعبر بها عن مدلول ذلك العمل ومثال ذلك قول الرجل لزوجته: أنت طالق، أو قول رئيس الجلسة: أعلن عن افتتاح الجلسة، فهو بذلك قد قام بفعل معين وهو افتتاح الجلسة.

بمجرد التلفظ بذلك. وتعد نظرية "أفعال الكلام" أولى اللينات التي قام عليها الدرس التداولي، فقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي speech a نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، فحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية Actes locitoires التحقيق أغراض إنجازية actes allocustoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... إلخ) وغايات تأثيرية actes Perfocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل

[1] مسعود صحراوي: التداولية من العلماء العرب، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص 16 .

يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتي ومن ثم إنجاز شيء ما".[1]

وانطلاقا من أن "الفعل الكلامي" يتوسل أفعالا قولية، ويحقق أغراضا إنجازية ويؤدي غايات تأثيرية، فقد قسمه "أوستين" إلى ثلاثة أقسام وهي:

– **فعل القول:**" ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة"[2] أي أنه يشترط صحة الجملة في جميع المستويات اللغوية، فالفعل الصوتي هو التلال بألفاظ لغة معينة، والفعل التركيبي هو تالف مجموعة مفردات وفق قواعد تلك اللغة، أما الفعل الدلالي فهر توظيف تلك المفردات حسب معان محددة.

– **الفعل المتضمن** في القول: و يقصد به الغرض الإنجازي للفعل، بحيث يلزم المتكلم نفسه أو غيره (مخاطبة) بإنجاز عمل ما من خلال أقواله، من أمثلته : السؤال، الإجابة عن السؤال، التأكيد، التحذير ، الوعد... إلخ، ويشكل الفعل الإنجازي (المتضمن في القول) أساس النظرية التداولية، لأنه يجسد الجانب التواصلي منها، ويرتبط بعرض وقصد المتكلم، ولهذا يمكن القول بأن هذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها"[3].

– **الفعل الناتج عن القول:** فمع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن في القول يكون المتكلم قد قام يفعل ثالث وهو ترك آثار في نفسية المتلقي، وبالتالي " التسبب في ترك آثار في المشاعر والفكر ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل الإرشاد ...[4]، ويطلق عليه أيضا اسم الفعل التأثيري نسبة إلى الأثر الذي يتركه في المتلقي.

وستضرب مثالا بسيطا لتوضيح الفرق بين هذه الأفعال الثلاثة : فإذا قال لك شخص في الغرفة: هنالك أفعى داخل الخزانة ، فالفعل اللفضي هذا هو الهيئة المنطوقة لهذه الجملة بأصواتها وتركيبها النحوي الصحيح، ومعناها الذي يقرر أن داخل الخزانة أفعى، والفعل

---

[2] مسعود صحراوي: التداولية من العلماء العرب، المرجع السابق، ص 40.

[2] المرجع نفسه، ص41.

[3] المرجع نفسه، ص 40.

[4] المرجع نفسه، ص42.

الإنجازي (المتضمن في القول) هو ما يقصده المتكلم بهذا القول، وهو التحذير من الأفعى والفعل التأثيري (الناتج عن القول) هو ما يخلفه هذا القول من أثر في المتلقي، وقد يكون الفزع أو الهرب من المكان، أو النهوض لقتلها ... إلخ. ومن خصائص أفعال الكلام أنها جمل لا تصف واقعا معينا، مع أنها جمل خيرية نحو :

– أعدك بالزيارة غدا إن شاء الله.

– سأشتري كتابا في الأسبوع المقبل بحول الله.

فمثل هذه الجمل لا يمكن الحكم عليها لا بالصدق ولا بالكذب، ذلك أنها لا تعكس واقعا موصوفا، بقدر ما هي أفعال منجزة من المتلقي أو المتكلم على حد سواء، ومن خصائصها أيضا أنها جمل محكومة بالتلفظ بها؛ حيث إن نطقها سبب في إنجاز الأفعال المبنية عليها.[1]

ومنه فقد قدمت نظرية أفعال الكلام فرصة لدراسة العلاقة بين العلامات ومستعمليها من جهة وبينها وبين مؤوليها من جهة أخرى، وذلك من خلال وجهة نظر جديدة شرحت ما يقوم به التأويل في الخطاب، إذ يتغير المعني بتغير مجموعة من المعايير المتحكمة فيه كمقاصد المتكلم وأحوال المخاطب وسباق الخطاب، مما جعلها محط اهتمام الألمانيين الذين وجدوا فيها مجالا ثريا لحل المشكلات التركيبية والدلالية ومشكلات تعليم اللغات، و علماء النفس لأنها وسيلة هامة لاكتساب اللغة، ونقاد الأدب لفهم ما تحمله النصوص من فروق تعبيرية، والفلاسفة يا مجال خصب لشرح علاقة اللغة بالعالم.

ب . الافتراض المسبق (presup position):

ويقصد به المعطيات والافتراضات المعترف بها، والمتفق عليها من طرف المشاركين في العملية التواصلية، حيث يقوم كل تواصل لساني على مجموعة من الافتراضات في أذهان المعنيين بالعملية التخاطبية، وتكون هذه الافتراضات بمثابة الأرضية التي يبني عليها المتكلم خطابه، و يقيم من خلالها المستمع مقاصد المتكلم ويشترط فيها أن تكون

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص91.

معلومة لدى المخاطب والعذاب على حد سواء وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل. فمثلا في العبارتين : "أغلق الباب" و" لا تغلق الباب"، هناك افتراض مسبق لدى المتكلم مفاده أن الباب مفتوح.

وعليه فإن الافتراض المسبق "مفهوم براجماتي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من حيث العلامات المشتركة، والمعروفة مسبقا لدى المتكلم والمخاطب"[1] . وفي مثال أخر عندما يسأل الطرف الأول الطرف الثاني فيقول :

– هل شفي أبوك؟. فيجيبه الطرف الثاني :

– نعم ، الحمد لله، شكرا لاهتمامك .

فمن هذين الملفوظين نستنتج أن هناك علاقة تربط الطرفين تسمح بطرح مثل هذا السؤال فالمتكلم (وهو هذا الطرف الأول) قام ببقاء عبارته انطلاقا من اقتراض مسبق، مفاده أن المستمع (الطرف الثاني) لديه والد وهو مريض، أما إذا كانت الخلفية الإخبارية لدي الطرفين غير مشتركة فقد تكون الإجابة مثلا : من قال لك أن والدي مريض ؟ أو: ليس الدي والد.

وعليه تعد العلاقة التي تربط بين طرفي العملية التواصلية (المخاطب والمخاطَب) من أهم العناصر السياقية التي تساعد في تحديد العلامات اللغوية المناسبة والمقصودة ذلك أن المرسل عند إنتاجه النص أو خطاب ما، فإنه يأخذ بعين الاعتبار الخلفية الثقافية والمعرفية للمتلقي، وما يملكه من أفكار مته من فهم الرسالة فهما صحيحا، وبالمقابل إذا لم يكن لدى المرسل خلفية مسبقة ينطلق منها في مخاطبة المتلقي وكان المتلقي خالي الذهن هو الأخر أدى ذلك إلى ما يعرف بسوء التفاهم، الذي يكون سببه ضعف الافتراضات المسبقة الضرورية النجاح عملية التواصل. وإذا كان المعنى المقصود من العبارة مبني على الانتاج، وكان ذلك الاستنتاج معلوما لدى المتكلم والمخاطب، فإن هذا الاستنتاج يدخل في إطار الاقراض المسبق، لأن المتكلم قام ببناء عبارته انطلاقا من ذلك الاستنتاج، والمستمع فهم

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، المرجع السابق، ص31.

قصد المتكلم بناء عليه، أما إذا كان المعنى المستنتج غير معروف للمخاطب مسبقا فإنه يدخل في إطار ما يعرف ب . : تضمين المحادثة أو الاستلزام الحواري.

- الاستلزام الحواري (التخاطبي) inplicature conversational:

وهو موضوع من موضوعات البحث التداولي، ترجع نشأة البحث فيه إلى الفيلسوف "غرايس" من خلال محاضراته التي كان يلقيها في جامعة "هارفرد" سنة 1967 منطلقا في ذلك من أن الناس في حديثهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فعمل من خلال محاضراته إلى إيضاح الاختلاف بين ما يقال what is said وما يقصد what is meant كما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية face values، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال[1] ، ويتضح ذلك أكثر من خلال الحوار الآتي و الذي يدور حول سؤال الأم لابنتها من ذهاب أخيها إلى المدرسة :

الأم : هل ذهب محمد إلى المدرسة ؟

البنت : رأيت محفظته فوق سريره.

يحتوي هذا المثال على معنيين التين:

- معنى صريح يفهم من خلال مفردات التركيب، وهو المعنى الدال على وجود محقلة محمد فوق سريره .

- معنى ضمني (مستلزم حواري) لا يفهم من خلال ما تقدمه الجملة من معان، وإنما يعتمد على الإطار العام للحديث، فيهم من خلاله مثلا أن محمد لم يذهب إلى المدرسة.

[1] محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البث اللغوي المعاصر، ص33.

ولكي يتمكن المؤول من الوصول إلى فهم صحيح للجملة المستلزمة حواريا حاول "غرايس" أن يضع العبارات اللغوية في قوالب تسيل على المؤول استنتاج المعنى، فقدم الاحتمالات الدلالية للعبارة إلى قسمين[1]:

1. معان صريحه: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل ما يلي:

– المحتوى القضوي، وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

– القوة الإنجازية الحرفية، وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما كالاستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد..

2. معان ضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخل في تحديدها، أو التوجه إليها، وتشمل ما يلي:

– معان عرفية، وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين .

– **معان تخاطبية:** وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية.

د . الإشارة deixis (أو الإشاريات):

وهي تلك الكلمات والتعبيرات التي لا يتحدد مدلولها بمعزل عن السياق الذي وردت فيه والمرجع الذي تحيل إليه وتشمل: الضمائر، أسماء الإشارة، وبعض ظروف الزمان والمكان (الآن، أمس، هنالك، هذا...)، ففي كل لغة من لغات العالم نجد أن هناك كلمات و تعبيرات، تعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه، أي أننا لا نستطيع استخلاص ما تتضمنه من معان إلا بالرجوع لسياقها الذي وردت فيه، فإذا أخذنا جملة متقطعة من سياقها مثل : سوف يقومون بهذا العمل غدا لأنهم ليسوا هنا الآن.

[1] أحمد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط1،2015، ص20.

ستراودنا العديد من الأسئلة حولها من قبيل: من الذين سيقومون بالعمل ؟ وما هو هذا العمل ؟ ولماذا هم ليسوا هنا ؟ . ويعود سبب الغموض إلى أن الجملة المسابقة تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشارية وهي : واو الجماعة في (يقومون) و ضمير جمع الغائبين (هم) و اسم الإشارة (هذا) وظرفا الزمان (الآن، غذا) وظرف المكان (هنا).

وفي هذا المقام ينبه" لفنسون" إلى أن " التعبيرات الإشارية تفكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه وتظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم"[1]، ومن هذا المنطلق كان تركيز اللسانيات منصبا على دراسة الجانب المنطوق للغة دون جانبها المكتوب.

ولما كان المقام شرطا أساسيا لفهم ما تحمله بعض العبارات من دلالات، فقد وقفت النظريات الدلالية الشكلية عاجزة عن معالجة هذه الإشارات، مما أدى إلى ظهور ما يسمى بعلم الدلالة المقامي situationalsemantics وبذلك أصبحت الإشاريات مجالا مشتركا بين علم الدلالة و التداولية.

وعليه فالإشاريات " من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فرغم إحالتها إلى مرجع، إلا أنه غير ثابت"[2] وهي بذلك تعد شرطا ضروريا لتحقيق الملفوظ وإنتاج العبارات اللغوية، حيث يعمد المتكلم إلى استعمال ما يحتاج منها في كلامه ليضمن نجاعة خطابه و عدم إبهامه فتقوم بوظيفة تعويض مدلولات الأسماء و الإحالة إليها.

هـ. الوظائف التداولية :

ويقصد بها مختلف الوظائف التي تؤديها اللغة، ويتمكن المتكلم من خلالها من الوصول إلى غايته من استعمال اللغة، وقد ظهر هذا البحث في الدرس التداولي بعد أن تجاوز فكرة الوظيفة الأحادية اللغة، التي هيمنت طويلا على الدراسات اللغوية، والتي مفادها

[1] محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص16-17.

[2] باديس الهويمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014 ص34.

أن للغة وظيفة واحدة وهي الوظيفة التواصلية، إلى تعدد الوظائف اللغوية، ولعل أهمها الوظيفة التأثيرية، ذلك أن اللغة تأثير على السلوك الإنساني، وبالتالي تتبني عليها تغيرات في المواقف والآراء، والحقيقة أن فكرة تعدد الوظائف اللغوية نشأت قبل ذلك بكثير ، وبالضبط مع "رومان جاكبسون" في مخططه المعروف للتواصل والذي ضم ست وظائف، ثم تطورت وتوسعت مع من جاء بعده.

والوظيفة بمفهومها اللساني حسب ما جاء في معجم (ديبوا) هي: " الدور الذي تؤديه الوحدة اللسانية (...) في البنية التركيبية للملفوظ، ويد كل عنصر من الجملة مشاركا في معناها العام...[1]، ومن هذا المنطلق فالوظيفة التداولية للغة، لا تحدد إلا من خلال السياق الذي تنتج فيه أثناء عملية التواصل، وذلك ببيان قيمة كل عنصر من العناصر المكونة للخطاب، والدور الذي يؤديه داخل التركيب. وقد فرق الباحث "أحمد المتوكل" في كتابه "قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بين كل من الوظائف التداولية والوظائف الدلالية، فجعل الأولى تعتمد اعتمادا كليا على السياق، وعلى طبيعة العلاقة التخاطبية القائمة بين طرفي الخطاب أثناء العملية التواصلية، بالإضافة إلى اعتمادها على الخلفية المعرفية للمتلقي حول الموضوع، يقول: تباين الوظائف التداولية الوظائف الدلالية والوظائف الوجهية من حيث إن إسنادها يرتبط ارتباطا وثيقا بالسياق في بعديه المقامي والمقالي خاصة بعلاقة التخابر التي تقوم بين المتخاطبين في موقف تواصلي معين، بتعبير آخر، يرتبط إسناد الوظائف التداولية بكم ونوعية المعلومات التي يعتقد المتكلم أنها متوافرة في مخزون المخاطب حين عملية التخاطب"[2].

وتنقسم الوظائف التداولية إلى وظائف داخلية ووظائف خارجية، و "تتسم الوظائف الداخلية، كما تدل على ذلك تسميتها، بكونها تستند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة ذاتها[3]

---

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص120.

[2] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان ، الرباط ،د.ت، ص109.

[3] المرجع نفسه، ص110.

وتندرج تحتها وظيفتان التان هما: وظيفة المحور ووظيفة البؤرة، أما الوظائف الخارجية فهي غير مرتبطة بعناصر الجملة حيث تستند إلى مكونات خارجية، وتشمل وظيفتي الذيل والمبتدأ.[1]

و. الحجاج :

وهو مصطلح يتبادر إلى ذهن ما معه أنه خطاب إقناعي بالدرجة الأولى، أي أن هدفه هو التأثير في المتلقي، إما لتدعيم موقفه أو لدفعه لتبني موقف جديد، فالحجاج في أبسط معانيه إذا هو تلك الطريقة التي يتبعها المتكلم في عرض الحجج وتقديمها، فهو يستهدف التأثير في السامع ليكون الخطاب ناجحا وفعالا، وبالتالي يصبح المتكلم مجبرا على مراعات طبيعة المستمع وذلك لتحقيق السمة الحجاجية فنجاح الخطاب يتوقف على مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة من طرف المتكلم على إقناعه.

وقد ميز "ديكور" بين معنين للفظة الحجاج، المعنى العادي والمعنى الفني أو الاصطلاحي، فأما العادي فهو الذي سبقت الإشارة إليه، أي طريقة عرض الحجج وتقديمها وأما الحجاج بمعناه الفني" فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب" والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية"[2] ، وبمعنى آخر فإن تآلف الكلمات داخل الخطاب وفق نظام معين وبكيفية مخصوصة، يؤدي طابعا حجاجيا يسهم في إبراز السمات الدلالية للخطاب.

وممن خاض في الحديث عن الحجاج أيضا باعتباره ظاهرة كلامية نجد: "بيرلمان" و تيتيكا" في كتابهما دراسة الحجاج، الذي تطرقا فيه إلى أهم التقنيات التي من شأنها أن تؤدي إلى إقناع المستمع أثناء العملية التخاطبية، فاشترطا فيه " أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه الأخر المواجع موقف الشريك المتعاون، لا موقف الخصم العنيد من أجل تحقيق غاية، وهي: استمالة المتلقي لما يعرض عليه، وأن يجعل العقول تذعن لما يطرح

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محولة التأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 120.

[2] صابر الحباشة: التداولية و الحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، سورية، دمشق، د.ط، 2008،ص 21.

عليها، وأن يزيد في درجة إذعانها باعتماد وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه"[1]، ومن هذه النقطة بالذات تتضح أهمية الحجاج في العملية التواصلية، إذ إن نجاح المتكلم في استمالة وإقناع المخاطب متوقف على مدى تمكنه من التقنيات الحجاجية، و مدى نجاحه في توظيفها داخل خطابه.

والحجاج في نظر "بيرلمان" و "تيتيكا" على ضربين:

الأول: تمثله البلاغة البرهانية، حيث يقوم على البرهنة والاستدلال، ويتتبع الجانب الاستدلالي في الحاجة، يعتمد على العقل، وهو خاص بالفيلسوف، جمهوره ضيق وغايته بيان الحق.

الثاني: حجاج أوسع من السابق، يهتم بدراسة التقنيات التي تسمح بإذعان المتلقي"[2]

ومنه فقد اعتبرت دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي من شؤون التداولية، لخضوع الخطاب الحجاجي في معناه الظاهر والباطن القواعد شروط القول والتلقي، كما تبرز فيها مكانة القصدية والتأثير في المتلقي، وبالتالي فعالية ونجاح العملية التواصلية.

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محولة التأصيلية في الدرس العربي القديم، المرجع السابق، ص.107.

[2] المرجع نفسه، ص107.

الفصل الثاني

الافتراض المسبق في رواية آخر الفرسان لفريد الأنصاري

1- توصف شكلي للرواية

2- مفاهيم صوفية

3- اقتباسات قرآنية

4- الافتراض المسبق الواقعي

5- الافتراض المسبق المعجمي

6- الافتراض المسبق المناقض للواقع

تمهيد:

يعرض الكاتب في روايته آخر الفرسان سيرة ذاتية لمكابدات بديع الزمان النورسي وذلك عبر الوقائع التاريخية لدولة الخلافة العثمانية وصراعيها المرير بين أشباح الظلام وتلاميذ رسائل النور، وبتعدد الفقيه والشاعر المربي فريد الأنصاري، وامتداد آفاقه جاءت هذه الرواية سابحة في عوالم الأكوان الواقعية والمتخيلة، من وجدة ومكناس، والبيضاء، إلى مرمرة وسعرد، واسطنبول ومن هاته إلى عوالم الروح وأنوار التجلي، في تناغم ساحر جسدته لغة شاعرية راقية مانحة من لسان الوحي المعجز ومن لغة التشوق الصوفي اللافح، ضاربة في أعماق الشعر العربي إيقاعا وأخيلة.

تحدث الراوي خلال فصول الرواية السبعة عن المدن التركية من حيث العمران والمؤسسات العلمية منها والسياسية حتى يستطيع القارئ التعايش مع الشخصية وكأنه يعايشها، وأيضا لم ينس الكاتب الأحداث والوقائع التي حدثت آنذاك والتي بطبيعة الحال كان لها أثر في حياة بديع الزمان النورسي.

1- توصف شكلي للرواية:

جاء عنوان الرواية "**آخر الفرسان**" معرفا بالإضافة ومنكرا من حيث الدلالة، كما يجد القارئ صعوبة في فهم فحوى الرواية بالاعتماد على العنوان دون النظر إلى المضمون من خلال وجود حصان ناصع البياض جامح يركض مثير النقع ورائه، على غلاف الرواية مع وجود سواد كثيف تنبعث من ورائه أشعة شمس خافته تدل على وجود صراع عظيم بين الظلام ونور الشمس، ولا يستدرك القارئ مفهوم العنوان إلا بفتح الغلاف حيث أضيفت عبارة مكابدات "بديع الزمان النورسي"، أو بعد قراءة الرواية حتى نهايتها ليفهم أن الحديث في الرواية يدور حول نضال النورسي في تثبت الإسلام بدولة الخلافة العثمانية.

فبعد عمل الروائي الأول "كشف المحجوب" الصادر سنة 1999م الذي انشغل فيه برسم معالم مشروعه الفكري والإبداعي يواصل الروائي المغربي فريد الأنصاري مساره الإبداعي ملتحما بتجربة جديدة ومتميزة.

غير أن هذه التجربة الثانية تسجل لمرحلة أخرى ضمن مسيرة هذا العالم الروائي ليس على مستوى الأداء الفني والرؤية الإبداعية فحسب، ولكن على مستوى مشروع القول الذي يريد الروائي أن يبلغه أيضا، ومن ثم فإن رواية آخر الفرسان في الوقت الذي تسجل فيه الامتداد والاستمرارية في سجل الاختلاف والتميز.

هذه الرواية كتاب اليوم رواية بعنوان آخر الفرسان من تأليف فريد الأنصاري المغربي رحمة الله عليه رواية رصينة تجمع من خط الخط الواقعي الذي يتسلسل بالأحداث والوثائق الواقعية، وخط معماري سريلي يدخل فيه الخيال فيستنطق أحداث سعيد الزمان النورسي من أجل اضفاء الروح الروائية على الجانب المعلوماتي الجاف، الرجل بذل جهدا كبيرا في الرواية لماذا؟ لأن المتحدث عنه نادر من يعرفه في جو كان كأكبر مصلح في بيئته. وفي سنة 1924م سقطت الدولة العثمانية في أحداث دراماتيكية (جرت بسرعة حيث قادها أتاتورك بدعم من الإنجليز)، فقد كانوا هم الذين يتحكمون في البلد.

سعيد الزمان النورسي هذا الرجل كان هو المصلح وهو النبتة التي خرجت بين ذلك الركام، الديكتاتورية والعلمانية في تركيا بعد سقوط الدولة العثمانية كانت تحارب حتى الرمز،

حتى الكلمة، الشكل، الآذان، العمامة، الستر، كل شيء أرادت الطمس المباشر بما في ذلك تعليم اللغة العربية وحتى الأقليات، خرج سعيد الزمان النورسي فاعتقل، وحكم، ونفي، وحبس و أعيدت محاكمته من الطرفين التجمع التركي العلماني والإنجليز لدرجة أنهم تحرشوا به دينيا فوجهوا له صحيفة طويلة من أسئلة المستشرقين، والقصص وغيرهم، استفسارات دينية فكانت الاستفسارات ليست استفسارات وإنما طعون في ذات النبي عليه الصلاة والسلام، وفي القرآن وفي عرض النبي "صلى الله عليه وسلم" أي تحرش استفزازي فما كان من سعيد الزمان النورسي إلا أن قال في البرلمان ما هذه الأسئلة، وطلبوا منه أن يجيب على 150 كلمة تقريبا فقال ما هذه الأسئلة لا يجاوب عليها لا ب 150 سطر، وب 150 كلمة، ولا ب 150 حرف، انما يجاب عليها ببصقة في أفواه المفترين، كان مستفزا وهم استفزوه فقال الكلمة.

هذا الكتاب يتكلم عن تلك الرسائل الروحانية وذلك الجهد الدعوي وتلك المواجهات بين رجل منفرد مع دولة ضخمة قائمة في ظل عدم وجود معين، كيف استطاع فريد الأنصاري أن يكتب هذه الرواية الشائقة المثيرة العميقة، نحن اليوم في عصر تقدمت الرواية على القصيدة والمحظوظ الذي يجد من يرشح له رواية تكتنس المعني والحدث والأسلوب، وبعد ذلك تعطي من قرأها روحا علي الروح التي تدخل في الكتاب إليها.

كتاب آخر الفرسان رواية تستحق القراءة لأنها من الوزن النادر الذي يجمع بين أكثر من مدرسة في رواية معاصرة لفريد الأنصاري.

وقد توزعت الرواية على سبعة فصول، في مئتين وأربعة وأربعين صفحة من الحجم المتوسط وخصص لكل فصل عنوان أصلي تندرج تحته عناوين فرعية، وجاءت العناوين رمزية تحتاج إلى فطنة وذكاء القارئ لفك شفرتها والتعرف على دلالتها.

الفصل الأول: الأشباح تهاجم المدينة (جهود علمنة تركيا)

الفصل الثاني: مكابدات سعيد القديم (قبل النبوغ والفتح القرآني).

الفصل الثالث: إسطنبول، بين الأولياء والأشقياء (شخصيات أثرت في تاريخ تركيا: عبد الحميد الثاني، كراصو).

الفصل الرابع: تجليات الموت (عرض للمعاناة والمكابدات).

الفصل الخامس: مكابد ات سعيد الجديد (التدافع العلماني والإسلامي بعد تفتق الموهبة الإيمانية)

الفصل السادس: منفى "بارلا"... مولد النور والجمال (انتشار رسائل النور رشم التضييق)

الفصل السابع والأخير: تجليات الحزن الجميل (يرصد اللحظات الأخيرة من حياة النورس)

2- مفاهيم صوفية:

نرى أن الروائي فريد الأنصاري قد خرج عن المألوف لدى الناس من خلال إشعار القارئ بأن" سعيد النورسي" لم يمت ولن يموت بوجود رسائل النور التي ألفها وعبر بها مسار الأحداث بتركيا فهذا ما يدل على حياته الحقيقية، متمسكا بتعبيرات صوفية واقتباسات قرآنية ..." كان قلبي يحدثني أنه مازال هناك .. رغم أنه قيل لي: لقد مات منذ سنة 1960م. كيف؟ كيف يكون قد مات- يا سادتي- وأنا أكاد أجد ريحه لولا أن تفندون ؟.. تعد كل الكتب تتفق على تاريخ وفاته المذكور، وأصدقكم القول: ما صدقت من أحدا! لذلك قررت أن أراه! وعزمت على الرحيل، فحملت حقيبتي الصغيرة، وتوجهت تلقاء سيدة المدائن، خاتمة عواصم الإسلام، اسطنبول[1].

وبتدارس الأحداث والحياة العصبية التي مرت حياة "سعيد النورسي" يتعرف القارئ على رجل وهب حياته كلها للنضال والجهاد والتضحية من أجل تثبيت جماعة "النور بتركيا" التي تعد امتداد للدين الإسلامي في عاصمة الخلافة الإسلامية: حيث "عاش ولا بيت له " وشاخ و لا زوج له؟ ثم مات ولا قبر له... فأي شخص هذا إذن ؟؟.[2]

وأثناء تناول مواقف الشخصية الأساسية للرواية الخيالية، يطلع القارئ على معالم الحضارة للمدن التركية، والدور الذي لعبته هذه الأماكن في انتشار رسائل النور، أو شل حركتها في مقابلة شكلية بين أشباح الظلام في أنقرة خلال القرن العشرين . وبين "طلاب النور" في "بارلا" واسطنبول.

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان ، ط3، دار النيب للطباعة والنشر ، مصر ، 1433هـ-2012م، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص14.

ولأجل بناء تلك اللوحة الفنية، تظهر بوضوح لغة أدبية رائقة تستمد مفاهيمها اللغوية من الحقل الصوفي: مواجيد، مقامات، أحوال، تجليات، رؤيا، فتح الأسرار، تلاوة، فاستعمال هذه المفاهيم الصوفية لا يجر بالمؤلف إلى الإقرار بالمخالفات الصوفية التي سبق وأن أشار إليها في كتابه "التوحيد والوساطة في التربية الدعوية" الصادر ضمن سلسلة كتاب الأمة بدولة قطر في جزئيين.

وهذا ما سيعالجه الدكتور "فريد الأنصاري" في موضعين:

الموضع الأول: أثناء التقائه الوهمي مع سعيد النورسي وطلبه مصاحبته.. إذا أرشده النورسي بالقول: "...، إنما شرطي عليك يابني، أي صاحب طريق فقط، حتى إذا كنت بحاضرة الأنوار، فشأنك وصحته التي تريد.. وانما تجلياتك على قدر صدقك! فذلك امتحانك العسير يا ولدي... فتأهب للرحيل"[1]

الموضع الثاني: فقد جاء الحديث عن الدهشة التي بدت على النورسي خلال اطلاعه على فتوح العنب للشيخ عبد القادر الجيلاني، مكتوبات للإمام أحمد الفاروقي السرهندي، حيث تأكد للأستاذ النورسي أن القرآن هو أصل التمتع بالحياة، وهو بداية لكل طريق، فتوحيد القبلة الحقيقي لا يكون إلا بالقرآن، في أسمى وأعلى عزته، وخير معلم على الإطلاق، وعن طريق القرآن تحول سعيد القديم إلى "سعيد الجديد" ولف رسائل النور.

3- اقتباسات قرآنية:

من خلال المفاهيم الصوفية والعرقية كانت الاقتباسات القرآنية مساعدة في تبليغ كثير من المعاني في توليف مسلس بين النص الشرب والسنة الخيالية للأدب الروائي كما جاء في رواية "**أخر الفرسان**" مواضيع متعددة.

لقد أرادوا بي أمرا، ولكن الله أراد أمرا، الا (الله الأمر من قبل ومن بعد)[2]". وشاهدنا مرة أخرى سرا من أسرار الآية الكريمة : " وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ"[3]، حيث

[1] فريد الأنصاري ، رواية أخر الفرسان، المرجع السابق، ص 132.

[2] المصدر نفسه، ص139.

[3] المصدر نفسه، ص188.

تحيلنا وتدلنا هذه الآية الكريمة على أن القتال يعقبه النصر والظفر على الأعداد والاستيلاء على البلاد والأموال والأولاد.

وجاء في موضع آخر "ولا يغرنك خفافيش الظلام (دعاة العلمانية في البلاد)[1] .

وكانت السيارة ترحل في عالم أخر متدثر بتراب النبوة ذرا على أعين المشركين ليلة الهجرة فصار الطيار الرفيق السن بين أيديم سنا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون}.[2]

بالإضافة إلى هذين الطابعين (المفاهيم الصوفية والاقتباسات القرآنية) في بناء الرواية هنالك مجموعة من الخواطر الخاصة أوردها المؤلف بكاء على لسان بطله "النورسي" حول الدعوة والسياسة، كان الاستقبال أروع ما يكون وكانت بهرجته به كافية للإيقاع بأي عاشق لبريق الأوان... كل المسؤولين حاضرون وكل النواب والأعيان وجموع الأهالي تملك المكان ما هذا؟ وما يراد بي؟ ودخلت البرلمان .... كان واضحا أنه مجرد لعبة لإلهاء الأمة فما هو إلا مسرح للجدل بلا عمل والد التفريغ الطاقة و اشتغال العباد بنفخ الرماد والدم يجري بجسم الأمة وأسفاه فأين المبصرون"[3].

ويزيد في تأكيد نفوره من سياسة السرية لا تعبر عن واقعية، أبهة زائفة، باطلة غير المؤسسة على علم بتخصيص عنوان ضمن وصايا النورسي في الفصل الأخير بأن " السياسة تسوس السياسة، ولا تشتغل بالسياسة"[4].

وفي الختام تبدو لنا أن رواية أخر الفرسان رواية رائعة تسرد حياة بديع الزمان النورسي صاحب رسائل النور والذي لا يعرفه الكثير هو الذي قام بالتصدي لعلمانية تركيا ومواجهة اللا دينية في المجتمع التركي، الرواية كتبت بطريقة سرد أدبية رائعة للغاية، سوف تشدك إن قرأتها من أول حرف إلى آخر حرف بها لأنها من الوزن النادر الذي يجمع بين أكثر من مدرسة في الرواية المعاصرة، ولهذا يجدر التأكيد أن الروائي المغربي فريد

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان ص204.

[2] المصدر نفسه، ص231.

[3] المصدر نفسه، ص139.

[4] المصدر نفسه، ص139.

الأنصاري تفنن في تقديم بعطلة الأسطوري روائيا، الواقعي فعلا بخصاله الرفيعة وبذلك يكون الفنية والشاعر فريد الأنصاري قد قدم بالإضافة إلى تجربته السابقة في رواية كشف المحجوب إمكانية أن يكون الفقيه أديبا وشاعرا و عالما وروائيا في الآن نفسه.

4- الافتراض المسبق الواقعي:

ينطلق المخاطبون عند كل عملية من سمات التالية من معطيات أساسية، وهي أن المستمع له معرفة مسبقة ببعض المعلومات الخاصة الا الخطاب، أي أن هذه النظرية تخص المتكلم قبل المخاطب لهذا تعتبر الافتراضات بداية المعلومات المدسوسة خفية، أي أنها تكون مزودة بملاءمة تواصلية أقل شأنا من تلك التي تتمتع بها المعلومات البينة، كما أنها تحتل مركز أدني مرتبة داخل البنية الرقاقية التي يلف محتوى الأقوال الإجمالي»[1]

فالافتراض المسبق ذو طبيعة لسانية بمعنى أنه يمكن إدراكه عن طريق العلامات اللغوية التي يتضمنها القول، وهي معلومات لم يفصح عنها المتكلم بل أوردها بطريقة آلية في القول الذي يتضمنه أصلا بغض النظر عن خصوصيته.

ورواية أخر الفرسان لفريد الأنصاري ليس بمنأى عن هذا البحث التداولي – الافتراضات المسبقة – باعتبارها جمل و ملفوظات لغوية تحوي مجموعة من المقاصد المباشرة والضمنية التي يعتبر بها المتكلم، أو المتلقي، أو هما معا.

ومن خلال دراستنا للرواية نجد أول افتراض مسبق واقعي في مقطع " الأشباح تهاجم المدينة" ، وهو حدث يرتبط بحياة بديع الزمان النورسي في طفولته، ويظهر ذلك في القول الآتي: «عاش ولا بيت له وشاخ ولا زوج له ثم مات ولا قبر له... فأي شخص هذا إذن ؟[2]»

في النص السالف افتراض مسبق يختص في كون بديع الزمان النورسي لم يجعل حياته ملكا له، بل جعلها كلها نضالا وتضحية لإثبات جماعة النور بتركيا كامتداد للمجد الإسلامي من أجل إعلاء كلمة الإسلام والمسلمين هناك.

---

[1] كاترين كيرير اركيوني، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، مركز الدراسات العربية، بيروت ، ط1، ديسمبر ، 2008م، ص45-46.

[2] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان، ص14.

وهذه الحقيقة تجعلنا نقف على أهم صفات النورسي حيث اعتبر أمة في رجل، وحياته كانت أكبر كرامة.

إلى أن نجد افتراض آخر في المقطع نفسه ويظهر ذلك في القول الآتي: «كانت أعمدة النور في شوارع إسطنبول بلا نور ... لم تزل لنصف قرن من الزمان – يا سيدتي – ... »[1]إن هذا المقطع يقودنا إلى افتراض مسبق يتمثل في ان إسطنبول كانت مضيئة ومنيرة ثم فقدت أضوائها بسبب سقوطها تحت براثن العلمانية الظالمة، والحضارة الغربية الجالبة للأضرار اجتماعيا وثقافيا، وكانت الظروف القاسية تدفع تركيا إلى التخلي عن الإسلام وضياء القرآن الكريم باسم الحضارة الغربية باعتبارها حاجة الوقت ونداء الزمان.

وهذه الصورة البائسة التي ظهرت في هذا المقطع توحي بحالة الشعب المحروم من أبسط متطلبات الحياة الإنسانية الذي يعيش في خزي رهيب، فقد أحدث هذا الوضع الراهن والمزرى ألما على نفسية سعيد النورسي وإصابته بجروح في قلبه.

أما في مقطع "حكاية الرحيل إلى بلاد التجليات" يظهر لنا افتراض مسبق يتمثل في قوله: "فحملت حقيبتي الصغيرة وتوجهت تلقاء سيادة المدائن، خاتمة عواصم الإسلام إسطنبول"[2].

انطلاقا مما تناولناه مسبقا نفترض أن الحقيبة الصغيرة التي حملها فريد الأنصاري تحوي الكثير من الدلالات والمعاني، مما يدل على أنه سافر كثيرا من مكان إلى آخر، حاملا معه زاده القليل وما يحتاجه من متاع في حقيبته الصغيرة بحثا عن بديع الزمان النورسي، فلم يترك مكان إلا وزاره سائلا عنه.

أما في مقطع " مقامات الجنون در افتراض مسبق يوضحه القول الآتي: «ولولا هذا اليتم المنكر المحيط بي من كل حياتي لما كانت الرسائل التحرر في حياتي من أثر ...!! . هنا نفترض أن النورسي قد فقد أمه في سن مبكرة وكذلك أخوته، فعرف معنى اليتم وحرم من الحنان، والشفاء العائلي فكير وحيدا عن غير عائلة، ولم يجد سبيلا للتخلص من الوحدة

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان ص15.

[2] المصدر نفسه، ص15.

القائلة سوى رسائل النور التي مست حالته وأخرجه من الي فكانت له بمثابة العائلة التي يحن إليها و يحدثها ، كما استأنس بالقرآن الكريم، و تغيرت نظرته و فكرته للحياة و إزاحة الجانب المظلم و المتشائم منها فنذر حياته من خلال رسائل النور لخدمة الدين الإسلامي و تعليم القرآن الكريم لأجل وطنه، وتحضيرا لآخرته فكانت حياته كلها للتعليم القرآن حتى ينسي اليتم ومرارته.

وقد ازدادت قوة نهمه إلى طلب العلم أكثر وأكثر فذهب إلى مدرسة " الملا فتح الله أفندي" في سعرد، أين اجتاز امتحانه العلمي لدى الملا فتح الله إذ يقول: «قد يكتم الإنسان الحقيقة عن الأخرين لئلا يداخله الغرور، وحتي يكسر علو نفسه الأمارة بالسوء ، ولكن الطالب لا يستطيع أمام أستاذه الذي يجعله أكثر من والد إلا أن يقول الحقيقة المحضة...! فإن تفضلتم سيدي بالأمر، فأنا على استعداد للامتحان في الكتب التي ذكرتموها[1] ...! .

في النص السالف افتراض مسبق يتلخص في كون بديع الزمان النورسي قد قرأ مجموعة كبيرة من الكتب وقد تمكن من فهمها وحفظها حفظا متقنا.

ومن القرائن السياقية التي تدل على هذا الافتراض أنه قال للممتحن بأن طالب العلم قد يكتم الحقيقة عن الآخرين وهي حفظه للكتب، لكيلا يصيبه الغرور، ولكنه يجب أن يصارح أستاذه لأنه سيعرض ما حفظ عليه.

وهذه الحقيقة تجعلنا نقف على أهم صفات سعي الكرسي وشي حرصه الشديد على طلب العلم والتواضع بكتم ما حصله من علم لكيلا يصيبه الغرور، وكذلك إجلاله واحترامه لأستاذه الذي أنزله منزلة الوالد.

أما في الفصل الثاني في مقطع "حال موسوي ينبعث من روحي " نجد افتراض مسبقا تمثل في حوار جرى بين مصطفى باشا وسعيد النورسي حيث يقول: «امتشقت سيفا قديما وخرجت متوجها إلى الجزيرة[2] »، في هذا القول بين لنا أن سعيد النورسي أثناء زيارته المصطفى باشا من أجل دعوته إلى الدين الإسلامي و العدول عن الظلم و التجبر، كان قد

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان ص15.

[2] المصدر نفسه ، ص48.

جعل من سيفه القديم مؤنسا له و صاحب أياه فترة السفر، لكي يستبين شجاعته و قوته و ثقته بنفسه أمام مصطفى باشا وأنه واثق من قدرته ولا يهاب الموت في سبيل إعلاء راية الحق، فما كان السيف إلا دلالة عن قوة وعزيمة و حكمة عميقة و سلامة الرأي عند النورسي وليس لأجل القتل و سفك الدماء، فسعيد النورسي رجل بمعنى الكلمة، حيث كان من أبرز المجددين و المصلحين الذين بذلوا قصارى جهدهم و نذروا نفوسهم من أجل شعبه و بلاده.

فهو يؤمن بعقيدة التوحيد الخالص والشريعة والأخوة الإسلامية والتضامن وحب الخير للإنسانية.

ثم تجده يقول: "ولكن أحدا لم يكن يري انه قد انهزم تماما[1]".

فالافتراض المسبق هنا أن يبيع الزمان النورسي لم ينهزم تماما، لأن ثقته وقدرته على مواجهة التحديات في معركته ودافع ثمن مواقفه وصراحته في المعارك التي خاضها فشخصيته الفعالة التي تميز بها إضافة إلى قدراته جعلته رجلا متميزا، فقد كان يخرج من الحروب قامة سامقة لا تطالها الأقزام.

ثم نجد في مقطع " مقام الابتلاء" مكابدات سعيد القديم، افتراضا مسبقا أخر يتمثل في قول وزير المستعمرات البريطاني مقولته الشهيرة: «مادام هذا القرآن بين المسلمين فلن نحكمهم حكما حقيقيا أبدا، فلنسع إلى نزعه منهما"[2] .

في هذا المقطع افتراض مسبق بين لنا المكانة العالية التي يحتلها القرآن وسط المسلمين و تمسكهم به، وهذا ما عمل عليه النورسي عن اهتمامه بدراسة سائر العلوم، تفرغ لدراسة علوم القرآن وحدها واعتبرها سنة انقلاب نفسي غير مجرى حياته لخوفه الشديد على أهله وعشيرته وبلاده كلها خاصة بعد علمه بالمؤامرة التي تحاك ضد المسلمين من قبل الأوروبيين حول القرآن، و محاولتهم تدنيسه و القضاء على المسلمين مما دعاه إلى محاربة

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان، ص46.

[2] المصدر نفسه، ص117.

هذه الدسائس و عكف على تعليم القرآن و دراسة تعاليمه و إثبات حقائقه و نشر دعائمه مما حاز على حب عشيرته و طلابه.

أما في الفصل الرابع في مقطع مقام الاحتفال اقتراض مسبق يتمثل في استقبال بذيع الزمان النورسي عندما دخل شوارع إسطنبول حيث يقول "لقد قوبلت بتكريم وحقارة أكثر مما أستحق كثيرة.

هذا المقطع يصور لنا المكانة العظيمة التي حظي بها بديع الزمان النورسي وسط طلابه والناس، حيث قوبل بتكريم كثير تعبيرا عن حبة واحترامهم له، لأنه كان في غاية التواضع، يتجنب شدة دواعي التفوق على الآخرين والتميز عنهم ، وكان يعامل جميع الناس بالحسنى ولاسيما الشيوخ والأطفال والفقراء ، وتشملهم بالرفق والمحبة الأخوية واللين في المعاملة، وكانت المحبة و البشاشة ممتزجة بحب والوقار تتسع من وجهه الطليق دائما ، فلا نرى فيه غير أثار الألفة والأنس مع الدينية والجمال، تعم كان مبتسما على الدوام ، وأحيانا تظهر عليه المهابة والصرامة بحيث ينعقد لسنانا عنده، ولا يتفوه بشيء لذلك عمت الفرحة و السرور و تلقي الاستقبال.

وهذه الحقيقة تبين لنا الأهمية العظمية التي يحتلها في حياتهم، وما يقدمه من تضحية وإرشاد لهم فهو بمثابة الأب والقائد والمنقذ لهم من الظلم والاستبداد التي تعيشه البلاد.

أما في الفصل الخامس في مقطع " مكابدات سعيد الجنين " اتضح لنا افتراض مسبق يؤكد القول الآتي: «أدركت لحظتها أن شخص ما في وجودي الباطني قد مات" [1].

في النص السالف افتراض مسبق يتمثل في بدايات التحولات والتغيرات في حياة سعيد النورسي من سطوة سعيد القديم وقوة شخصيته لتكون بداية خطواته لاستقبال والاحتفاء بشخصية سعيد الجديدة.

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان، ص129.

ثم نجد في مقطع مقام الغربة، افتراض آخر عن عودة بديع الزمان إلى مدينة وان حيث بقول «دخلت بعض الدروب ألهث كالمجنون، كنت أبحث عن وجه ما أعرفه ولكن دون جدوى....."[1]

في هذا المقطع افتراض مسبق حساس يتمحور حول العربية التي شعر بها سعيد النورسي أثناء عودته إلى مدينته والتي كان قليه بعد الشوق والحنين اتجاهها.

لكن الحقيقة التي ارتسمت له نتيجة عودته إلى مدينته ليست إلا رعبا وهلعا على وطنه الذي أصبح مجرد نكرات فقط كما تجلى افتراض أخر في مقطع حكاية كن القول الآتي: «رفعت يصري عاليا، فرأيته يحمل زاده الصغير على كتفه ويرمي يعتاد القديمة بين الأحجار .

تفترض مسبقا أن ذكر العصا في هذا الموقع دليل على الحالة التي يعيشها بديع الزمان النورسي، فهو بهذا يواكب مرحلة الشيخوخة بملامحها الكلية من الانقياد بعصا قديمة تقودها وتعينه في سيرد، فقد صار شيخا كبيرا أنه التعب، وظهرت عليه علامات الكبر مما جعله يسير بين مرتجفة قابضة على عصا سيدته وقائدته.

ومن الفصل الخامس ننتقل إلى الفصل الساد في مقطع حكاية " يظهر افتراض آخر يمثله القول الآتي: «ثم لم تذر كيف أزق وقت العصر؟ فقد ذبلت الشمس بسرعة من يوم شتوي فصير وما يزال القارب يلهث سابحا بين قطع الثلج مصطدما بهذه تارة وبتلك تارة أخرى[2]"

في هذا المقطع نفترض مسبقا أن الفصل الحاضر كان شتاء باردا ، ويوما قصيرا فلم يجد النورسي وشيخه نفسيهما إلا وقد مضى وقت العصر دون تأديتهما للصلاة، بالرغم من انتظارهما لدخول وقت الصلاة فمن جراء انشغالهما بالحديث والتدبر مضي الوقت سريعا دون الانتباه إلى قوات الصلاة عليهما مما جعلهما يشعران بالتحسر.

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان، ص137.

[2] المصدر نفسه، ص213.

بعد ذلك نجد افتراض مسبق في الفصل السابع والأخير في مقطع " حكاية بكاء النوارس والحمام في قول بديع الزمان النورسي: «لقد كان يوما مشهودا ...! ربع قرن والقلوب معتقلة في صدورها... ولا صدى لنوارس إسطنبول سوى البكاء والنحيب...[1]! .

نفترض مسبقا الحالة التي كانت تعيشها إسطنبول ومعاناة السياسيون لأكثر من ربع قرن من اعتقالات وحرمان لأبسط حقوقية ترفع أذان الصلاة وشكر الله وابداء آرائهم السياسية للمساهمة في إدارة بلادهم والتنقل براحة وسط شوارعها.

كل هذه المعاناة دامت مدة طويلة جعت تواري إسطنبول ينتحبون ويبكون آملين في زوال هذا الظلام الحالك والجور الذي يخنق حياتهم.

أما في مقطع " مقام الرحيل "تجد الفترات عشق واقعي تمثل في قول الراوي: «في شهر مارس من سنة 1960م، طرق بابه مدينة أمير داع طارق عرب، كان في ذلك يوافق أوائل أيام رمضان، وأصاب طلاب النور شعور متردد بين الخوف والرجاء »

هذا المقطع يقودنا إلى افتراض أنه في أوائل أيام رمضان وقع حدث أليم، قشعرت له الأبدان وساد الحزن وسط طلاب النور لفراق يا هم وقائدهم العظيم " النورسي" الذي كان بمثابة الأب الشرعي لأمته بما يتميز به من أخلاق عالية ومكانة مرموقة وسط أهله، وصوت مسموع، ومقاتل نبيل بأفكاره، وسيفه، فقد مات الحبيب الذي كان المرجع والمصلح لكل ما حل من دمار في تركيا فهو بوابة الحق التي سقطت بعد وفاته وانفجرت بعدها معالم الظلم والاستبداد من جديد.

إن ما يمكن أن نستخلصه من هذه الافتراضات المسبقة الواقعية التي جاءت لنعيش من خلالها الأحداث التي رفعت السعيد النورسي " من خلال مشواره الجهادي من أجل إعلاء كلمة الحق، وارساء رسائل النور التي تحمل بين طياتها الكثير من المعاني السامية لإحياء الدين الإسلامي في إسطنبول، وهذه الأحداث أو الوقائع جاءت في حدود ما يتقبله

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان، ص137.

العقل ، كما أضافت الرواية بصمات واقعية تجعل من قارئيها يعيش أحداث بواقعية أو يتعايش معها لما تتركه من أثر واقعي على نفوس قرائها ومتعتها.

5- الافتراض المسبق المعجمي:

إذا كان الاقتراض المسبق الواقعي افتراضا أساسيا وضرتها في الرواية بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، فإننا نجد في رواية أخر الخرسان بعض الافتراضات المعجمية، يسعى من خلالها الكاتب إلى إعطاء وأصفاء صورة واضحة مؤكدة، وتفاصيل أبين لأحداث الرواية ومن هذا المنطق فالاقتراض المسبق إن: «هو امر يفترضه أصر يفترضه المتكلمون وتسبق تفوههم بالكلام ولا يكمن في كلمة أو عبارة. فالمتكلمون هم أصحاب الافتراضات المسيئة إيمانا منهم بأن المستمعين عارفون بتلك المعلومات التي تعد جزءا متم يتم إيصاله له[1].

ونجلى أول افتراض مسبق معجم في الفصل الأول من مقطع " الأشباح تهاجم المدينة في سياق قول بديع الزمان النورسي: «إنتي متهيء ليكل شوق للذهاب إلى الآخرة[2]».

إن هذا المقطع يوضح الافتراض المسبق الذي أكسبه ذلك الصيت السابق ذكره، ألا وهو إيمان النورسي باستعداده بلهفة وشوق للذهاب إلى دار الحق، لأن بعثه إلى هذاك لا يعده عقابا (أي قتله) وإنما راحة له من كل أشكال الظلم والاستبداد الموجود في الدنيا، وأن الرحيل إلى الأخرة يعتبره فخر واعتزازا له، ومن الدلائل الساقية التي تدل على هذا الاقتراض هو تأكيده وإصراره على الأمر من خلال قوله إنني متهيء وهذا ما جعل الأمر مشيتا مؤكدا، أي أنه في كامل استعداده للقاء ربه.

وهذه الحقيقة تبين لنا أن سعيد النورسي ملية للذهاب إلى دار الحق، وهذا لما كان يحمله من زاد لهذا السفر الطويل، بتمسكه بتعاليم الدين الحنيف من كثرة الصلاة وقراءة القرآن ، وطاعة الله عزو جل من خلال نشر تعاليم الإسلام عبر رسائل النور التي جمعها،

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص39.

[2] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان، ص 17.

وحبه الكبير وحماسه الشديد أثناء الحديث عن كتاب الله، ودعوة الناس للتمسك به وجعله المرجع الأهم.

لحياته، والذي زاده بصيرة و حب للدفاع عن وطنه فكان وسيلة يافع من خلالها عن وطنه وإعلاء كلمة الحق، كما أنه يضحي بنفسه وما له أجل محاربة الظلم و استبداد، هذا الشعور الذي اختلج صدره جعله يلق أن الأخرة شيء متفان، وأن راحته الجسمانية والنفسية لا تركن إلا فيها، وهذا يدلنا علي سعيد النورسي من بداية حياته إلى غاية وفاته، كان رجلا فداء إذن من عظماء هذا العصر بلا منازع وفي مقطع " جنون التعلم " برز اقتراض عسين صحة القول الآتي: "إلا أنني لم أتحمل المكوث فيها[1] "

فهذا المقطع يقدم افتراضا مسبقا يبين لنا أن سعيد النورسي كان ماكثا، لكن شدة انشغاله بالعلم وعادته على المطالعة وشغفه بالقراءة، والتنقل جعلته يضجر ويغادر مدرسة الملا محمد أفندي المتواجدة في قرية تاع مما أدى لعودته إلى قريته الصغيرة نورس .

وهذا يحيلنا على أن الشيخ النورسي أراد نشر العلم في جميع أرجاء المعمورة، وذلك لتبيان تعاليم القرآن والسنة، باعتباره مولع بالقرآن والعلم منذ نعومة أظافره.

أما في الفصل الثاني في مقطع " قال موسي ينبعث من روحي فتظهر صيغة الحوار سؤال جواب، وبما أن استعمال الصيغ اللغوية يمكن أن يؤدي مجموعة من المعاني إذ أعقلنا السياق الذي ترد فيه، فالسياق يمكن أن يحنا المعنى المطلوب الذي يسعى البحث التداولي إلى إيجاده من خلال استعمال الأساليب اللغوية، حيث ظهر اقتراض مسبق في سياق توجيه سعيد النورسي لعلي باشا إلى الطريق الصحيح والإقلاع عن الظلم حيث يقول: «نعم !... تب إلى الله يا باشا" تب... أقلع عن الظلم والشرع في أداء الصلاة...! بأي حق أم يأتي شرع تستعين هؤلاء المستضعفين وتعذبهم[2] »

فصيغة جملة فعل الأمر (أقلع عن الظلم) اقتراض مسبق يتلخص في كون مصطفى باشا كان طاغيا ودائما يستعبد الناس وينكل بهم، فيحرمهم من أبسط حقوقهم الدينية والمادية، قد

[1] فريد الأنصاري، رواية آخر الفرسان، ص18.

[2] المصدر نفسه، ص19.

كان هو الداء في الوقت الذي يفترض أن يكون الدواء، فكان متسلطا وملتزا في قيادته لعشيرته فلا يرى نفسه إلا رئيسا متمكنا ومتجبرا لا نهاية العرش المكين، جاعلا كل أهل عشيرته تحت سيطرته الظالمة ذلك أن كلامه كان مسموع ومطاعا من قبل كبريائه.

ومن القرائن السياقية التي تدل على هذا الاقتراض هو تشجع سعيد النورسي في حديثه مع القطاعية مصطفى باشا طالبا منه العدول عن كل ما يقوم به من ظلم وتجبر داعيا إياه إلى العودة لله، وطريق الإسلام يحثه على أداء الصلاة وعدم استعباد الناس وهم أهله وعشيرته.

وهذه الحقيقة نؤكد لنا أن بديع الزمان النورسي قد تمكن ونجح في إقناع مصطفى باشا للتخلي عن صفاته و عادته السيئة، وادراكه في الأخير أن سعيد النورسي رجل صادق في كلامه، بل أكثر من ذلك عدد عالم حقيقي يستحق الشكر والتقدير.

أما في الفصل الثالث في مقطع " تمرد عسكري يكسر باب الخلافة " برز افتراض مسبق تمثل في القول الآتي: «وهنالك شاهدت جليا أكثر من أي وقت مضى كيف أن الخليفة عبد الحميد الثاني – رحمه الله – قد صار في الحقيقة سلطانا من ورق، أو صورة بلا روح»

افتراض مسبق للانقلاب العسكري على السلطان عبد الحميد الثاني لأنه كان مجرد حبر على الورق من ضعف لشخصيته وقلة حيلته وعدم اهتمامه بشؤون رعيته، وسوء تسيره للبلاد، ما جعله غنيمة سهلة في يد اليهود، حيث تمكنوا من إسقاط حكمه، والاستيلاء على البلاد، فوقع العالم الإسلامي تحت وطأة الاحتلال وما قاموا به من أجل تدنيس الهوية الإسلامية.

أما في الفصل الرابع في مقام الما يشير افتراض آخر يشبه القول الآتي: «إنني لا أدري كيف استطعت الفرار من قبضتهم الحديدية وكيف استطعت الوصول إلى إسطنبول في أيام قليلة...؟ وكيف قطعت مسافة هائلة سيرا على الأقدام له[1].

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان، ص116.

في النص السالف افتراض مسبق يتمثل في تجاه سعيد النورسي عن قضية الأعداء، و عودته إلى إسطنبول، والحالة الصحية التي كان منها، فمن المعاناة التي لقيها في السجون والتعذيب الذي تعرض له خلال فترة سجنه لم ير كيف تمكن من الهروب، وكان همه الوحيد الوصول إلى بلده فلم يشعر لا يبعد المسافة ولا بالتعب الذي يعتريه، ولا بجراحه الكثيرة وذلك سيرا على الأقدام، ومن شدة لهفه وحنيه لوطنه وصل بعد أيام قليلة لم يحس من خلالها المتاعب السفر، فالمهم عنده هو الوصول إلى إسطنبول قت تجي من الأسر فضل الله عزو جل ودون مساعدة أحده.

ثم ننتقل إلى افتراض مسبق آخر في الفصل السادس والذي نجده في مقطع صاعقة المرافعات الثورية في محكمة دينزلي " كالآتي: «وتخرج رسائل النور من الميدان رافعة عالم الانتصار[1]" .

هذا المقطع يقودنا إلى افتراض مسبق يتمثل في تمكن رسائل النور من إقلاب حكم المحكمة إلى براءة بديع الزمان النورسي ومن القرائن السياقية الدالة على ذلك أن رسائل النور كانت بمثابة اليد اليمنى ومرشدته، وكان تلام. يسارعون إلى تلقفها ونسخها وتوزيعها مع من كانوا يعانون في سبيل ذلك من عقبات وقيود تصل إلى حد الاعتقال لمجرد قراءتها وتوزيعها.

وهذه الحقيقة تجعلنا نؤكد على أن رسائل النور كانت الخلاص الوحيد لنجاة سعيد النورسي من السجن فتن عادت برهانان باهرا للقرآن الكريم و تفسير قيم له، فهي لمعة براقة من لمعات إعجازه العلوي و رشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس و حقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، فقد أثارت القلوب و الأرواح، فقد اعتبرت الأب الشرعي الذي يأخذ الولد ويعلمه الطريق الصحيح، فقد كان طابعها توجهي إرشادي ومنهجها الدعوة إلى الله في هذا العصر، وكان النورسي يحق رجال القمر التي تصي للطغيان ووقف أمام الظالمين يحذر من عاقبة الظلم و البعد عن الدين الله، وعن كلمة الحق مشوية بلا وجل ولا

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان ص200.

تردد وذلك كانت رسائل النور حسنة النورسي الجارية فقد كانت ساعدت في نشر دعوته الإصلاحية وبهذا نجحت في إقلاب حكم المحكمة إلى براءة بديع الزمان النورسي و عدت رسائل النور قيمة لا تغلب، فهي تدعوا إلى إنقاذ الإيمان و عترة الإسلام إلى الحياة.

من جملة ما يمكننا أن نستخلص من هذه الافتراضات المسبقة المعجمية أنها ساهمت في إيضاح المعنى، وإزالة الإبهام، بالوقوف على المضامين الخفية الخطاب في هذه الرواية.

6- الافتراض المسبق المناقض للواقع.

بالنظر إلى المعنى الحقيقي للافتراض المسبق المناقض للواقع، نجده لا يخلو من الخيال والتصوير الفني للأحداث، في و لا يستمد عن الواقع، وإنما يستعمل فيه الخيال لأجل الوصول – أو الدلالة على المعنى المراد تحقيقه في الرواية، وهذا ما ستراه من خلال هذه المقتبسات الحبة من الرواية التي تدل عليه.

تنفتح الرواية على أول افتراض مسبق مناقض للواقع، ويظهر ذلك واضحا في الفصل الأول في مقطع " الأشباح تهاجم المدينة" إذ يقول الراوي: «بديع الزمان وحده كان يمشي تلك الليلة بين المدائن، يوزع الشموع على المستضعفين ... ينفخ الروح في القلوب الواعية، ويتيح لها أن تتلقى قيس الحياة من جديد....[1]"

في النص السالف افتراض مسبق يتمثل في الوضعية التي تعيشها المدائن من ظلام حالك يجنح كل شوارعها، وتغمرها الظلم والتعسف، حتى استبان نور مضيء تمثل في شخصية بديع الزمان النورسي الذي تجول في الشوارع لإضاءة القلوب وإخراجها من الظلم الذي كان يقبع عليها، بنشره لدعائم الإسلام وبث روح المقاومة في نفوس المستضعفين.

فحبه لدينه ووطنه جعله يسعى بكل ما يملك من فكر وعلم من أجل إرساء دعائم الحياة الهنيئة المليئة بالمساواة بين سكان المدائن.

وفي الفصل الثالث من مقطع " مع مفتي الديار المصرية" ظهر افتراض مسبق مناقض للواقع يؤكده القول الآتي: «لو أن هذا الجنس آلمته فرحة في أصبع الصغرى من

[1] فريد الأنصاري، رواية آخر الخرسان، ص 13.

يده أو قدمه الداعي لها سائرة بالسير والحمى... به[1]. هذا افتراض مسبق يتبين من خلاله أن مكانا معينا من إسطنبول أصيب بدمار حزن له سعيد النورسي، و اعتبر ذلك إصابة لإسطنبول بكاملها، متمثلا بذلك بافتراض مناقض للواقع مستعملا الخيال في نقل الحدث وهو ألم في الإصبع الصغير وشعور سائر الجسد بكل الألم و السهر لأجله، فهذا حال إسطنبول فألمها يتمثل في إصابة جزء من بلادها بالخراب و تعرضه للظلم فهذا يجعلها تدرك أهمية ذلك الجزء منها، فاستعمال الخيال وارد، ولا علاقة بين ألم الأصبع وإصابة البلاد بالخراب، و إنما لأجل إبراز أهمية أي مكان من البلاد كأهمية الأصبع بالنسبة للجسد أو الرأس بالنسبة للدماغ.

وفي نفس المقطع تجلى افتراض مسبق مناقض للواقع كذلك: "توجع البلاد العربية اليوم ولا تجد لها طبيبا لكنها لو فزعت إلى الأم الكبرى، ودست رأسها في صدرها لوجدت عندها من سكينة الإيمان، دواء الذهاب الأحزان[2] .

افتراض مسبق للحالة التي آلت إليها البلاد، ولكن هذا الافتراض مناقض للواقع إذ استعمل فيه الخيال كثيرا، لأن البلاد لا تتوجع بل الإنسان الذي يتوجع و الطبيب أيضا لعلاج الأمراض لا لعلاج الحروب، و اللجوء إلى صدر الأم علاج الأحزان وذلك كناية أو تعبيرا مجازيا عن قيمة القرآن الكريم و صداه في علاج الهموم و الأمراض، هذا الأمر يجعلنا نعلم يقينا أن إسطنبول تعاني الكثير من الآلام و الدمار والظلم، ولم يجد لها أحد دواء، فهي بحاجة لعلاج يذهب أوجاعها و يوقظها من غم الاستبداد فكان لابد من الأخذ بالقرآن الكريم والتمسك بأحكامه للخروج من الظلام إلى النور.

ثم ننتقل إلى الفصل الثالث من الرواية حيث تجلى افتراض مسبق في مقطع " مع جون تورك " حيث يقول الكاتب: "أشباح الظلام"، وما أدراك ما أشباح الظلام ؟!... لو رأيتها لوليت منها فرارا ولملئت منها رعبا[3]".

---

[1] فريد الأنصاري ، رواية آخر الفرسان، ص79.

[2] المصدر نفسه، ص79.

[3] المصدر نفسه، ص83.

افتراض مسبق مناقض للواقع عبر فيه النورسي عن الطغاة، وما يقومون به من ظلم وجور في حق البشر فقد طغو في البلاد وأكثروا فيها الفساد، وجعلوا أهلها شيعا فلم يرحموا لا صغيرا ولا كبيرا، وفيه شبه أشباح الظلام يوم القيامة لشدة جورهم فقد استخدم الخيال لتأكيد المعنى المراد تحقيقه، فالأصل لا وجود للأشباح ولا يمكنها أن تعرج في السماء، ولا تلج الأرض، بل هم الانقلابين أعداء الدين يظهرون ليلا للقيام بأفعالهم الشنيعة.

ولأجل الدلالة على قوة المجموعة وشدة بأسها وما عاناه البلد منهم ومن طغيانهم، وكأن يأجوج ومأجوج قد حلوا بالأرض.

نجد كذلك افتراضا مسيئا آخر في مقطع حرية الفوضى يظهر ذلك جليا في قول بديع الزمان، " ثم ركبت حصاني من جديد .... وأمتشقت أعراف عنقه العالي؟ فالحرب هذه المرة نتيجتها قد تحدد مصير البلاد، كان المطر غزيرا .... وكانت الأشجار تلتف أغصانها جميعا.

حول جوادي ... ضبحت بفرسي في الهواء، فتطايرت أشلاء الأغصان عصيا خضرا تشع النور في كل اتجاه... [1]"

افتراض مسبق للدور الذي قام به النورسي في تهدئة الحمالين وبث النور في قولهم من خلال كشف دسائس خفافيش الظلام وأسقاط سياسية الخبيثة التي تسعى لنشر الفساد، ومحاربة القرآن، فكانت الغاية من ركوب الحصان لكي يشع النور في كل مكان، كما شبه خفافيش الظلام بالأشجار والأغصان التي تكبح سير حصانه وتحاول جاهدة منعه من تحقيق مبتغاه فما كان من النورسي إلا أن حارب هذا الظلم ورد كيد الأعداء في نحورهم، وبث روح الإيمان في قلوب الحمالين بدفعهم للتعلق بالقرآن وتعلم مبادئه.

أما في الفصل الثالث في مقطع " مع القضاة العسكريين" نجد فيه افتراضا مسبقا مناقضا للواقع يتمثل في اعتقال بديع الزمان النورسي مع مجموعة من المتمردين ودفاعه عن الشريعة في المحكمة إذ يقول: «لو كان لي ألف روح لكنت مستعدا لأن أضحي بها في

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان، ص87.

سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة! إذ الشريعة سبب السعادة، وهي العدالة المحضة! وهي الفضيلة أقول: الشريعة الحقة"[1].

الافتراض المسبق يتجلى في أن سعيد النورسي لا يملك إلا روحا واحدة، وهذه حقيقة الإنسان لأنه بتلك الروح يمكن له أن يضحي بها في سبيل وطنه، وفي تحقيق العدالة الشرعية ونصرة الشريعة الإسلامية التي بها تحقق الحياة السعيدة.

ومن القرائن الساقية التي تدل على هذا الافتراض هو قوله لو كان لي ألف روح لكنت مستعدا لأن أضحي بها فهذا يدل علي رغبته الشديدة في التضحية في سبيل نصرة الشريعة الإسلامية.

وهذه الحقيقة تبين لنا أن سعيد النورسي لا يملك إلا روحا واحدة ولو كان الضحى بها في سبيل الإسلام وتحقيق السعادة لوطنه.

إلى أن نجد افتراضا آخر في مقطع " مقام الغربة " ويظهر ذلك جليا في بديع الزمان النورسي: «التفت إلى شجيرات تظل علي بأغصانها الغضة من بين الخرائب... كانت الثمار الجديدة معلقة بأفنانها الطرية، ورأيتها تنظر إلى مبتسمة في إشفاق وهي تضمد جراحاتي... كانت عيون التين والعنب الطري ترمقنى بحب عميق و عتاب لطيف"[2].

افتراض مسبق للحالة النفسية التي عانى منها سعيد النورسي بعد عودته للديار و رؤيته للدمار و الخراب الذي حل ببلده و موت طلابه و أحبته، فأحس بوحدة قاتلة و غربة مميتة، لكن بوجود افتراض مناقض للواقع في هذا المقطع لا يدل على إلتفات الأشجار ولا الثمار، فهي لا تتحدث ولا تبتسم و لا تعاتب، وليس لها عيون لتنظر وإنما هذا مجرد تعبير يدل على بقاء تلك الأشجار و الثمار لوحدها تبعث الأمل في نفس النورسي فمن خلال نظره إليها و شعوره بالراحة و الأمل من جديد و ترديده الآيات من القرآن الكريم (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) سورة الحديد، الآية02.

---

[1] فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان، ص 87.

[2] المصدر نفسه، ص144.

جعله يصور حوله واقعا خياليا لأجل الخروج من حالة الكآبة والحزن التي يعيشها ولكي يتمكن من المضي قدما نحو تحقيق هدف لإرساء الحق ونشر دعائم الإسلام فاستزاد أملا من نظرات الأشجار والثمار والجداول والأدوار التي تملأ المكان.

ثم يليه الافتراض المسبق الأخير والتي يظهر في المقطع الآتي: «وانطلقت خفافيش الظلام مرة أخرى تدوس بحوافرها النجسة كل معنى جميل ...، واشتد السعار بالذئب الأغبر فانطلق يجوب المدائن والقرى يرهب الأطفال والنساء ... يكشر عن أنيابه هنا وهناك، ويغرز مخالبه في كل شيء يلقاه في طريقه، يعلن ألا أمن إلا لبني جنسه، ولا سلام إلا لقبيله وجرائها".[1]

افتراض مسبق يتمحور حول الانقلاب العسكري التي عاشه طلاب النور بعد وفاة سعيد النورسي، لكن لا وجود لخفافيش الظلام التي تدوس بحوافرها النجسة فهذا خيال استعمل للدلالة على قوة المستبدين وما يحملونه من كره للدين وأهله، والمقصود هنا هم الانقلابين الذين أفسدوا في البلاد وجعلوا أهلها أذلة، وحرموهم عن كل حقوقهم الدينية والمادية من تعلم القرآن، فمن أجل وصف الحالة التي يعيشها طلاب النور استعمل الخيال للتعبير عن الظلم والفساد الذي قام به الانقلابين للقضاء على الدين و تعاليمه .

من خلال هذه الافتراضات الموسيقية المناقضة للواقع يمكن القول أن فريد الأنصاري بني جزءا من رواية أخر الفرسان على الخيال من أجل عرض أحداث هذه الرواية لأن ذلك في نظره هو التعبير الأدبي الأوضح والأنسب لتقديم صورة عن حياة رجل كالنورسي الذي عاش حياة درامية أشبه ما تكون الخيال.

[1] فريد الأنصاري، رواية آخر الفرسان، ص248.

خاتمة

خاتمة:

بعد هذه المسيرة في موضوع الاقتراض المسبق في رواية أخر الفرسان لفريد الأنصاري يمكن تسجيل مجموعة من النتائج:

- التداولية مصطلح فضفاض اختلف الدارسون في تحديد ماهيته وضبط حدوده وبيان أقسامه
- كل تعريفات التداولية أجمعت على أنها دراسة اللغة أثناء الاستعمال في السباقات والمقامات المختلفة.
- لم تنبثق التداولية من مصدر واحد، بل انبثقت من كل العلوم التي لها صلة باللغة كالسيمياء وغيرهم.
- قوام الدرس التداول مجموعة من الأدوات الإجرائية التي يمارس بها المتخاطبون عمليات التواصل الذي لن يتحقق الهدف المرجو منه، إلا إذا ارتاد آفاق العلم والممارسة.
- اعتمد الدرس التداولي على شبكة تحليل المعاصرة، التي تعتمد على مفاهيم من قبيل الأفعال الكلامية، والإشارات، والاستلزام الحواري، والاقتراض المسبق.
- تلعب الأفعال الكلامية دورا هاما في تحويل معتقدات المتخاطبين من خلال العمليات الذهنية التي لا تظهر أثناء الكلام بل تقترض، وهذا ما يسمى بالافتراض المسبق.
- بعد الافتراض المسبق أحد أهم قضايا البحث التداولي الجديد إذ بفضله تكون العملية التواصلية ناجحة بين المتخاطبين كونه من أهم المعطيات المتفق عليها والمعروفة التي ينطلق منها المتخاطبون أثناء العملية التواصلية.
- الاقتراض المسبق في الدرس التداولي جزء لا يتجزأ من معنى الكلام، إذ لا أحد يمكن أن يتكلم دون أن يكون كلامه اعتراضا إلى درجة أن فعل الاقتراض يشكل الفعل الأساسي للكلام.

- من خاصية الافتراضات المسبق أنها مدرجة في بنية اللغة وتقيم خارج السياق، وهذا ما يميزها عن الأقوال المضمرة التي لا تقيم عقاصها إلا بالرجوع إلى السياق التي أنتجت فيه، كما تبين أن الافتراضات تأخذ عدة مظاهر لغوية: مفردات، تراكيب، صيغ صرفية، ينظر إليها على أنها مؤشرات الافتراضات مسبقة كاملة.
- يعد الافتراض المسبق موضوعا منسبا لدراسة الرواية وذلك لتقاطعه مع موضوعات تداولية متعددة مكونة الخلفية التواصلية المشتركة.
- تعد رواية أخر الفرسان لفريد الأنصاري أرضية خصبة لتطبيق الاقتراض المسبق، ذلك لكونها تحتوي على مجموعة كبيرة من الافتراضات المسبقة.
- يغلب على الرواية الطابع الديني في السياسي، وهذا راجع إلى الداعية بديع الزمان النورسي الذي يمثل الشخصية الرئيسية و المحورية فيها، إذ صور لنا الكاتب أهم الأحداث التي وقعت لسعيد النورسي منذ طفولته إلى حد وفاته.
- الافتراضات المسبقة الواقعية الموجودة في الرواية كانت بنسبة كبيرة في الفصل الأول، وذلك لاشتماله على مجموعة كبيرة من الحوارات، لأن الراوي في هذا الفصل بصدد تقرير الحدائق والتعريف بالشخصيات والحوارات الدائرة بينهما، أما الافتراضات المسبقة المعجمية والمناقضة للواقع كانت بنسبة قليلة وذلك لغة الوصف على التقرير

وتبقى هذه الدراسة التطبيقية التداولية في رواية أخر الفرسان تفريد الأنصاري قراءة أولية مفتوحة وقابلة لقراءات مختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

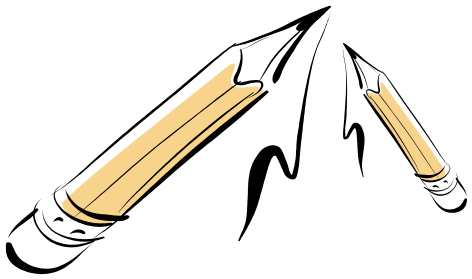

*** القرآن الكريم.**

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط ،1979، ج 2.

2. ابي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1998،ج1.

3. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان ، الرباط، د.ت.

4. أحمد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط1، 2015.

5. آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط1، 2003.

6. باديس الهويمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014.

7. باديس الهويمل، التداولية والبلاغة الشعرية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع.

8. بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، ط1، 2010.

9. جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010.

10. خليفة بو جادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

11. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محولة التأصيلية في الدرس العربي القديم.

12. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محولة التأصيلية في الدرس العربي القديم، المرجع السابق.

13. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج2.
14. د. اسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، 1990،ج1.
15. الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، مكتبة العبيكان الرياض، ط1، 1998،ج1.
16. صابر الحباشة: التداولية و الحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، سورية، دمشق، د.ط، 2008.
17. صلاح امين ملاوي: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، كلية العلوم والآداب الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة . الجزائر، العدد الرابع، جانفي 2009.
18. طه عبد الرحمن: تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط 2، د ت.
19. فريد الأنصاري، رواية أخر الفرسان ، ط3، دار النيب للطباعة والنشر ، مصر ، 1433هـ-2012م.
20. فليب بلا نشيه، التداولية من أوستين الى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2055.
21. كاترين كيرير اركيوني، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، مركز الدراسات العربية، بيروت ، ط1، ديسمبر ، 2008م.
22. محمدو طلحة، تداولية الخطاب السردي، تقديم مسعود صحراوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
23. محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعة، د.ط ، 2002.
24. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط1، 2055.
25. وهبة الزحيلي: الوجيز في اصول الفقه، دار الفكر ، دمشق، ط2، 1990.

فهرس المحتويات

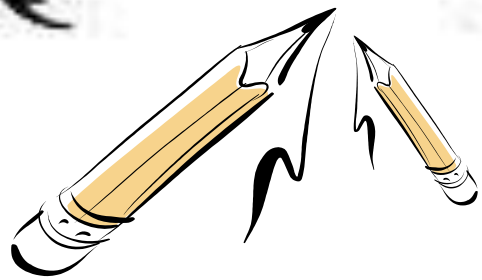

فهرس الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول: مفاهيم وقضايا التداولية	
1- مفهوم التداولية	05
2- الجذور الفلسفية للدرس التداولي	10
3- النشأة والتطور	12
4- التداولية عند الغرب	15
5- التداولية عند العرب	19
6- أبرز القضايا والمفاهيم التداولية	20
الفصل الثاني: الافتراض المسبق في رواية آخر الفرسان لفريد الأنصاري	
1- توصف شكلي للرواية	32
2- مفاهيم صوفية	34
3- اقتباسات قرآنية	35
4- الافتراض المسبق الواقعي	37
5- الافتراض المسبق المعجمي	44
6- الافتراض المسبق المناقض للواقع	48
خاتمة	54
قائمة المصادر والمراجع	57
ملخص	

ملخص:

وتهدف دراستنا إلى تطبيق أحد أهم هذه الآليات التداولية في الاقتراض المسبق على رواية مغربية وهي رواية "أخر الفرسان" للروائي فريد الأنصاري، وذلك من أجل رصد وتحليل أهم الافتراضات المسبقة الموجودة فيها وأكدت الدراسة.

التطبيقية أن الرواية المغربية بمثابة العمود الفقري لموضوع اللسانيات التداولية، فهي كفيلة بتطبيق موضوع الاقتراض المسبق عليها، وذلك كونها تتوفر على العناصر الحوارية بين المتخاطبين. **الكلمات المفتاحية:** التداولية، الرواية، الاقتراض المسبق.

Abstract:

Our study aims at the study of one of the most important mechanisms of pragmatics: the application of the presupposition on the Moroccan novel entitled "Akhir el forsane" "the last of the knights of Farid El-Ansari, in order to analyze the most important assumptions being there.

Our practical study has shown that the Moroccan novel is the ideal subject for pragmatic linguistics because it allows the application of presupposition being full of discursive elements between speakers.

Keywords: Pragmatics, Novel, Presuppositions.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): جابري سكينة الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 201767551 والصادرة بتاريخ 2017/1/30 بدائرة عين الجمل

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

الاقتران المسبق في رواية كنز الفرسان لفريد الاتصاري - دراسة تداولية -

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في

2022/05/16

إمضاء المعني

نائب رئيس المجلس الشعبي البلدي

ومفوض لسلطة

لعلى العابد

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .